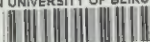


كولا البريك

سلالات شمال افريقيا

كولا البريك ،خوليو
دراسة سلاات شمال افريقيا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01026798

تجلد صالح الدقر
٢٢٩٧٧

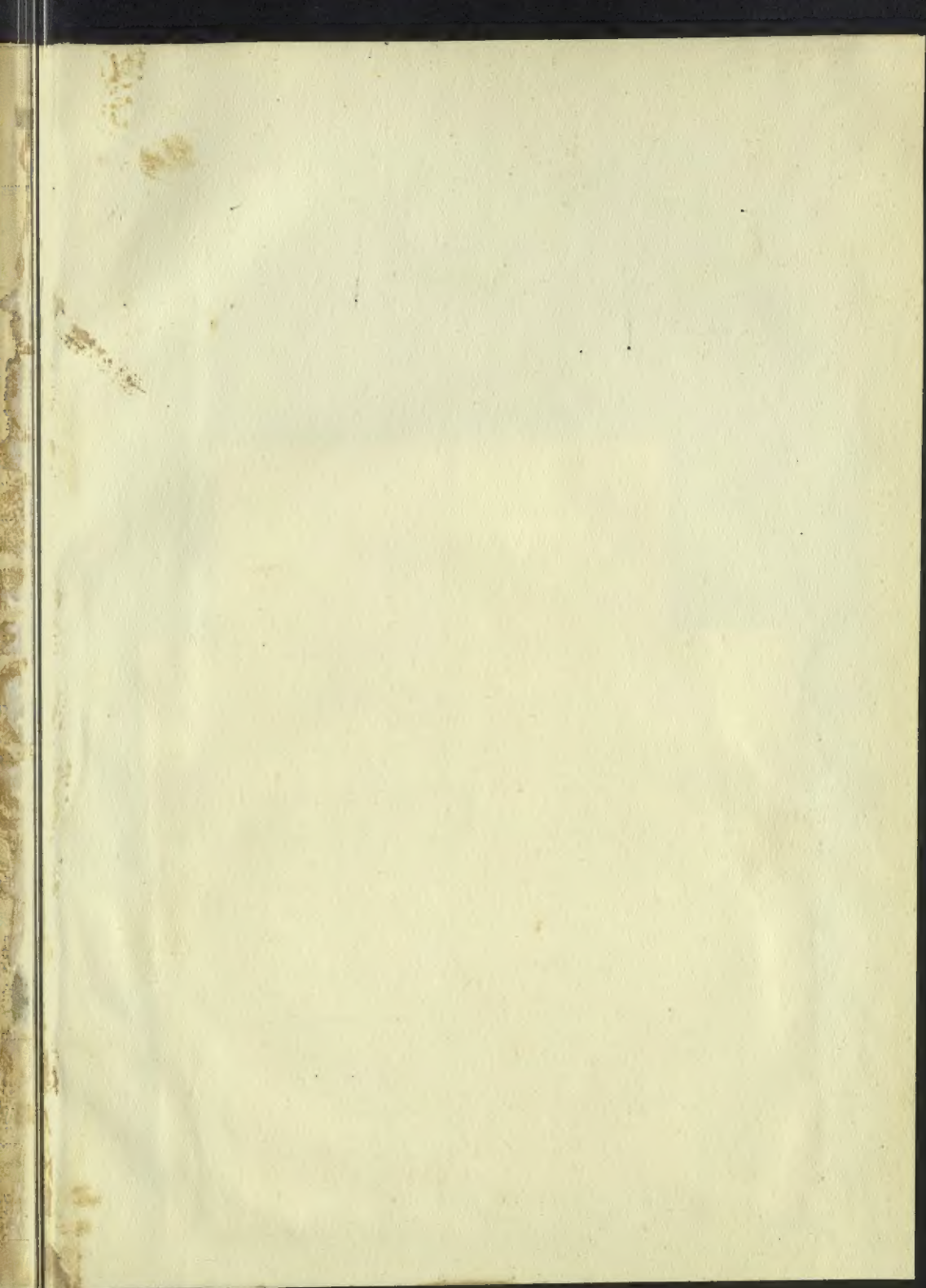
[REDACTED]

كولا البريك و خوليو

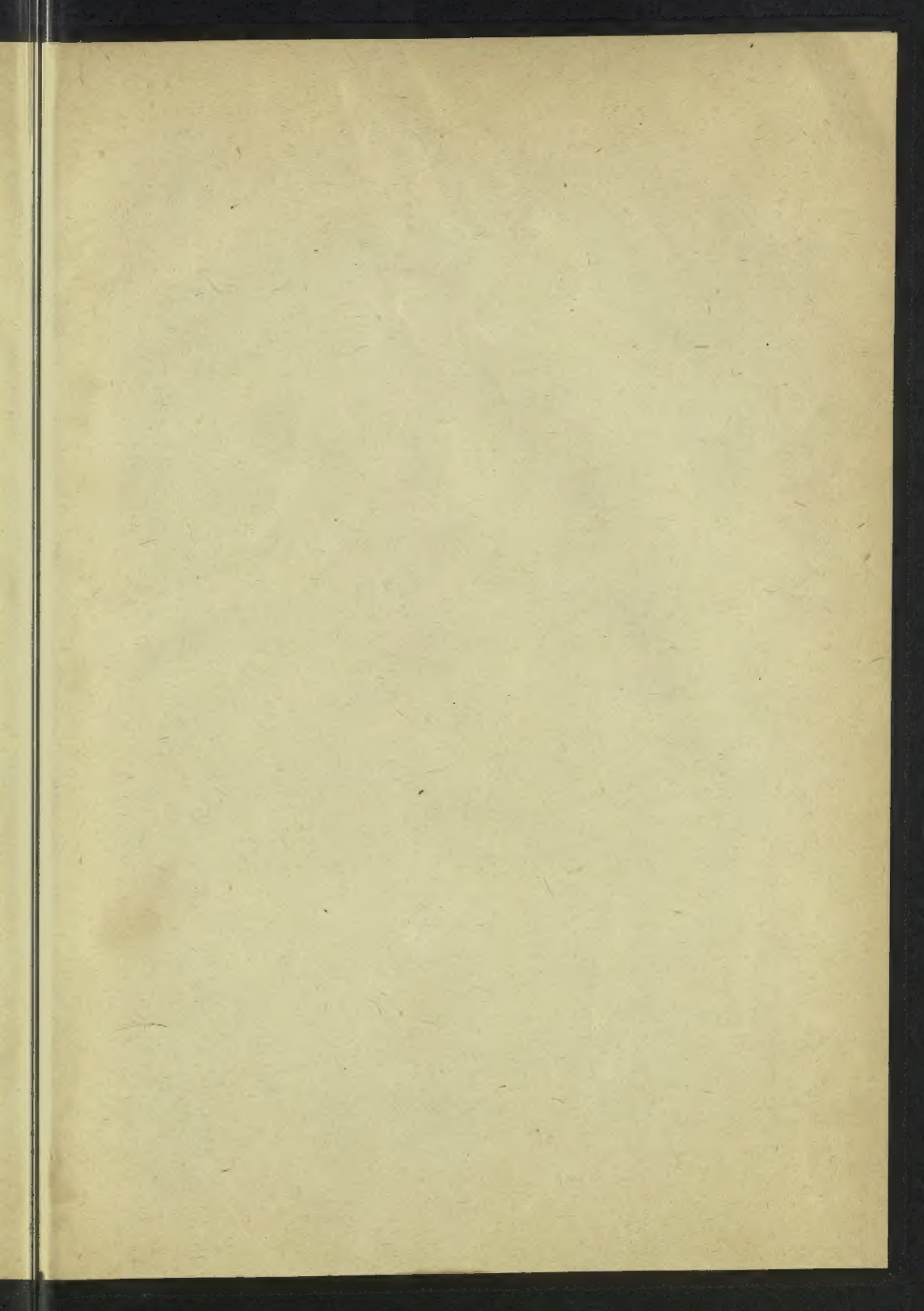
572.961

C 684

[REDACTED]



دراسة سلاط شمال افريقيا



معهد مولاي الحسن

دراسة سلالات شمال افريقيا

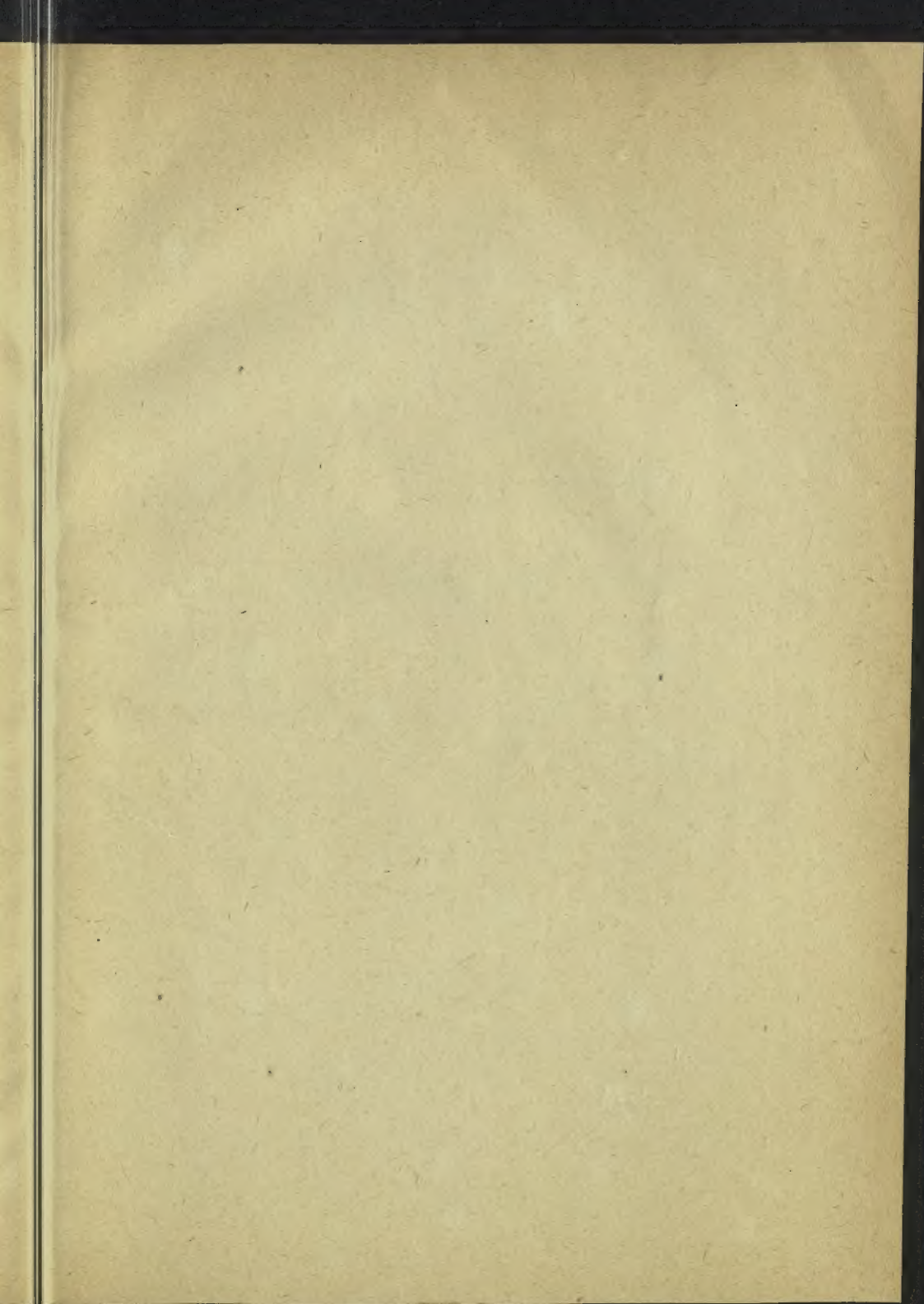
بقلم خوليو كولا البريك استاذ
في جامعة مدريد ورئيس قسم
معهد «برناردينو دي شاهكون»
لدراسة الانسان والسلالات في
المجلس الاعلى للابحاث العلمية

محاضرة اقيمت يوم 31 مارس 1947 في قاعة المحاضرات
بنيابة التربية والثقافة بتطوان

تطوان 1948



ترجم هذه المحاضرة إلى اللغة العربية
الاستاذ نجيب ابو ملهم عضو مكتب
الترجمة الاسبانية العربية بناية الامور الوطنية



ان دراسة السلالات البشرية التي استوطنت المغرب قبل دخول الاسلام وكل ما يتعلق بتلك الشعوب من عوائد وطرق معيشة لهي مورد غزير حافل بالموضوعات العلمية استرعى دائما وابداً انتباه الباحثين الكبار في سائر العصور والازمان.

فمن اوجهه مختلفة ننظر بجلاء العروة السلائية التي تربط شعوب المغرب بشعوب شبه الجزيرة الاسبانية وهذه حجة اخرى تضاف الى غيرها من الحجج التي جاءت مؤيدة للحقيقة الناطقة بهذه المنطقة المتراصة الاطراف التي ندعوها «هسبيرييا» اقتداء بالتسمية الموقفة التي خلعا عليها عالمنا الكبير ضنون ادواردو هرنانديث باتشيكو.

وتوجد فعلاً في منتوجاتها المادية في المسكن في الزينات الجسدية وفي صناعة الادوات الخزفية الخ وتلاحظ كذلك في المبتدعات الفكرية والروحية منها: في العبادات وفي الخرافات والطقوس السحرية نتيجة شحذ مخيلاتهم في عالم ما فوق الطبيعة ولكل من هذا طابع مميز يجعلنا نلمس تلك الثقافة المقتصرة الخاصة التي بدورها تتصل اتصالاً وثيقاً بغيرها من الثقافات الهسبيرية فلذا استحال تحليل مجموعة الواجهة المتفرعة المتنوعة تحليلاً مفصلاً فاضطرارنا للاقتصار في الوقت الضيق للمحاضرة على طائفة منها سنوجه عنايتنا الناحية الروحية التي ما زالت حية في خلال معتقداتها الوجدانية حيث انها ترتسم على عدة اعمال ذات قيمة سلائية كبرى.

وبهذه الكيفية نسقدم صورة عن اساطيرهم وسحرةم وخرافاتهم التي اجمالاً لها مميزات شخصية فذة تكفي وحدها لمعرفة الثقافة التي تنتمي اليها بسهولة.

العوامل البيئية

تدخل في نطاق دراسة السلالة البشرية العلاقات الوثيقة القائمة بين الانسان والمحيط الطبيعي الذي يدور به . واما تأثيرات المحيط فيصح ان تكون مباشرة او غير مباشرة ومن عملها الخطير تتولد نتائج فادلة بالنسبة للسكان الادميين لحد منه في الوقت الحاضر ان الجغرافية على النمط المعروف كدراسة الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان تتطلب المكان كمحور مرشد لدراسة الانسان الحيوية والاخلاقية من حيث هو . فهذه التأثيرات تحدد الوجة الخاصة بمتوجاتها العادية كما وانها تطبع ميزات خاصة في نفسية الانسان . وهذا يلاحظ في توزيع الكتل البشرية على سطح الارض توزيعا يحصل وفقا لامكانياتي الوسط المناخية والاقتصادية فالصحارى والبلدان ذات الاراضي البضاء القاحلة يستوطنها اقل عدد ممكن من البشر في حين ان الاراضي الخصباء والمواني من بحرية ونهرية والاراضي ذات المناخ المعتدل والتي قرها متوسط الاعتدال تطلع علينا بنسبة قصوى من حيث عدد السكان .

ومن العوامل الجغرافية المختلفة التي يمكن اعتبارها لدراسة السلالة البشرية لاحدى البلدان وصف طبيعة الجبال نظرا للدور الهام الذي تلعبه . ولما كانت تحدد كثيرا من ميزات الانسان من حيث هو جسديا واخلاقيا بالنسبة للمكان فتطبع طابعها القوي على طرق حياته العادية المحضنة منها نجم ان المسكن تاتسرها بنوع خاص ، فمن هذا في المناطق الجبلية المغربية عدم وجود البناءات الشاهقة او الضخمة المصممة التي انما توجد في السهول الفسيحة ، ولا نعرش كذلك

في انفراجات الاودية على كتل كبيرة من السكان ومثل هذه الاعتبارات فانها تقتصر على الجهة الشمالية من المغرب (١)

وتستند عوامل رئيسية اخرى الى دراسة الجغرافية المائية . فتاريخ سائس العصور يلمع بصفة قانون الامي الى ان المدنات الكبرى لاقت مهدها ومركزها الوسيط السطحي حول المجاري المائية الكبرى سواء كانت المحيطات والبحار او الانهر الكبرى .

ووفقا للدراسة السالاية فكل تائير العوامل المشتركة المتناوبة بين الانسان والوسط الذي يعيش فيه ينطبع بصورة خاصة على طريقة الحياة واللباس الخ . وصفوة القول فكل شي يظهر طابع الوسط الذي يعيش فيه الانسان .

فالثقافة في حد ذاتها يمكن ان تعتبر ايضا كنتيجة لعامل الانسان لينال من الطبيعة ما لم تقدمه له عفوا فلهذا السبب تزدهر عادة في اماكن خصبة للغاية تنفض الى ادنى حد المجهود البشري ويقول «كربس» (٢) ان الانسان يضع في وجه الطبيعة ارادة وعملا مقتنما الامتيازات التي تقدمها له محاولا تقليل العوائق

(١) راجع خوليو كولا البريك (Julio Cola Alberich) في «الدراسة السالاية المغرب» منشورات معهد مدريد سنة ١٩٤٦ وابحاث المؤلف ذاته في «شدوذ في المسكن الاهلي المغربي» مجلة العلوم لجمعية تقدم العلوم العدد ١١ رقم ٢ مدريد (T. XI núm. 2) مدريد سنة ١٩٤٦ . مدريد «الدراسة السالاية للمسكن المغربي في مجلة افريقية لمعهد الدروس الافريقية . عدد ابريل . مدريد ١٩٤٧ و «المسكن البدوي المغربي موريطانيا عدد ٢١١ . طبعة خوزيه ١٩٤٥

(٢) Krebs

وهذا ما يفعله حتى الشعوب الهمجية اذ يمكن ان يقال بوجود ثقافة مهما كانت اولية منذ الاونة التي عرفت فيها الكتابة البشرية ان تطبق حياتها على الطبيعة وتظهر الطبيعة لدى هذه البحوث كشيء لا يتحور بالنسبة الى الحياة البشرية ولقد بسط الانسان سلطانه على الارض وانتفع من الامتيازات دون ما حدود سوى التي تفرضها عليه بنيتة . وليس الميزة الجسدية هي كل شيء . في تكوين الافكار الا انها عامل جبار يساعد على تاصل انواع ثقافية معينة . وفي المقصورة على المغرب فلنقل ان لعوامل المحيط اهمية بعيدة الاثر .

وللعوامل المناخية رتبة فوق الممتازة في تنسيق مدى درجات التأثير . فالعصر الجليدي كان الحافز للبشرية التي كانت لذلك الحين مكمّطة في منطقة ضيقة ان تنمو وتنتشر انتشارا فائقا وكانت افضلية الاختيار تقع دائما وابدا على الاراضي المنعرجة والجبلية سواء كانت ناشئة او مغطاة بالادغال الغير كثيفة ذات اقمع المعرض للرطوبة وسهل غمرها بالماء . من الاودية في حال ان القيط المفرط يرسم عدم اهلية البلاد للسكنى كما هو حاصل في الصحاري الافريقية .

والحياة البدوية التي كانت منتشرة فيما مضى في المغرب في كثير من المناسبات يرجع مصدرها للتأثرات البيئية وكانت البداوة الى عهد قريب قاعدة عامة لحياة كثير من جماعات الشعوب الافريقية ولم تقتصر على الرعيان والحيادين فحسب بل تعدتها ايضا الى المزارعين . والعامل المهم الذي يحددها هو فعل العوامل البيئية وبالاخص نفاذ موارد التربة او جفاف موارد الثروة السابقة الوجود (اضمحلال صيد الاسماك والقنص الخ) .

وتوجد حالات يكون السبب فيها مخالفا كما يحصل الكثير من الشعوب التي تهجر اماكن اقامتها لخوفها من الارواح الشريرة التي تسكن

مقاطعتها ولا تعدم كذلك الاسباب الحربية التي تدفعهم الى الهجرة من جراء ضغط
العشائر المحاربة المجاورة المستقوية. فلذا سبب الحاميون الشرقيون وشعوب النيل
في زحفهم من الشمال الشرقي نزوحات السود نحو الجنوب والجنوب الشرقي.
وعند وسترمان (١) يرجع للنزوحات الفضل في تكوين دول الحمى (٢) في ناحية
البحريات الكبرى. وفيما يرجع الى المغرب فالعروب سببت تنقلات في السكان
واسعة خلال العهود المتقدمة للاسلام. فتكون اول اشارة في التاريخ المكتوب
عن الريف هي كتابة نقش على قبر العائلة المالكة الثامنة عشر (٣) تتعلق بقرو
من مصر آنذاك قامت به جماعة ليبية عرفت باسم مشاوشة (٤) الذين غزوا
الطاحينو (٥) وهم الليبيون الوحيدون الذين اعتادوا مجاورة المصريين (٦) فجندوهم
تحت امرتهم لغزو مصر.

وكان انتشار العبيد في افريقيا بعد البرجمانيين وقبل الحاميين (٧) وتجنبوا
في بادئ امرهم الادغال ذات البيئة الغير مناسبة للحياة غير انهم فيما بعد وجدوا
انفسهم مضطرين الى واجها تحت ضغط شعوب اخرى. ويصبح فقط في مثل هذه

(١) الدكتور ديتريش وسترمان في «نزوحات الشعوب في افريقيا» بحث

ونقلم (عدد ٥ = ٦ - سنة ١٤) مدريد ١٩٤٣. Dr. Dietrich Westermann.

Himas (٢)

(٣) اورليك باتس. Oric Bates «The Eastern Libyans» p. 211 Londres 1914.

Mashausha (٤)

Tahennu (٥)

(٦) غسطون ماسيرو Gaston Maspero «the Struggle of the Nations»
Londres 1896

Camitas (٧)

الحالات وغير ذلك من الدواعي القاهرة ان يقع الاختيار على اماكن قليلة الصلاحية لنمو الثقافات الزاهرة .

واما فيما يعود الى المغرب فالتأثيرات البيئية تبلغ حدا عمليا يقف في الاستبعاد فطبيعة البلاد الجبلية القاسية والوسط الجيولوجي والنباتي هما عاملا لا جبران يحددان كثيرا من ظواهر ساكنها .

ولسدى استعراض خريطة منطقتنا يلاحظ حالا وعلى غار ميزات ذات سيادة النمو الهائل الذي حصلت عنه الشواطئ التي يبلغ طولها الكلي ٥٣٠ كيلومترا . فهذه الحالة وكون البلاد واقعة في موقع جغرافي رئيسي في الطرف الثاني من العالم المعروف قديما شجنا دائما وصول جواهر الشعوب المغربية التي على ما يظهر راحت تشرك في المغرب آثار الثقافتها تراكت فوق التي للشعوب الاولى وعلى هذه الكيفية يصبح العامل الجغرافي دافعا قويا لتأثيرات سلالية واسعة .

وضعية المغرب السلالية

تبدي اقارة افريقية في امتداد اصقاعها المترامية عدا النواحي الثقافية بحد ذاتها هذا الفرق الظاهر ضمن الدائرة الجيولوجية بسلطانيتها الاطلي الريفي والافريقي ويلاحظ كذلك من الوجهة السلالية فاصل جلي بين المغرب وبقية اقطار اقرار . ففي الشمال افريقي ثقافات حامية شديدة القربى مع ثقافات غيرها مما تقى من مقاطعة هسبيريا وهي تنطق بمصدر واحد في كل مظاهرها ولو كانت التطورات التالية خلال آلاف السنين قد اكسبتها صبغات خاصة فصلت هسبيريا افريقيا سلاليا عن سببه الجزيرة الايبيرية .

واما في بقية انحاء اقارة فعند فروبنوس (١) تتوزع الى ثقافتين افريقيتين

Frobenius (١)

ديرتين : الايثيرية والاطلنتية منبهما البحر الاحمر وخليج الغنيانية.
وشواهد الثقافة الايثيرية حقول الانارات على ساحل الموزنيك (١) وسواحل
البحر الاحمر كوهيت (٢) ذكرها جبهة المؤلفين بالافير (٣) وتمتد هذه
الثقافة الى الغرب من مصب الكونغو.

صنات الاطانتكا (٤) بادي ذي بسد. في خليج لانيانيا (٥) وتعرف عنها
اكتشافات واسعة جرت في ايفي او اوفي (٦) في بلاد الجروبس (٧) وناتي بشواهد
واضحة للتاثيرات الاسيوية الشرقية الى حد حمل م. فروبنوس (٨) على القول ان
في ذلك الجزء من العالم كان مشاؤها.

والثقافات البامية (٩) التي تاصت في الشمال الافريقي ميزات سلالية شديدة
الوضوح. وتكون اخر درجة للتطور الباشي في منابع ما قبل التاريخ وفي النقش
الصخري الصحراوي الزاهر ففي حالتها تبدل على صلة واضحة بالميزات المماثلة
في شبه الجزيرة الانيرية في حين ان الثقافات الافريقية من حيث هسي والثقافات

Symbaje (١)

Koheito (٢)

Ofir (٣)

La Atlántica (٤)

La Guinea (٥)

He o Ufa (٦)

Jorubas (٧)

Frobenius (٨)

Camitas (٩)

الاسميية تظهر ميزات كثيرة التباين ومنها تركيب المجتمع . واما الشعوب المنتشرة في رحاب القارة فلها من الميزات التفرقة بين طبقات المجتمع حسب الاعمار فعند الماساي (١) تسمى درجات المجتمع لايوك (٢) الاولاد والموران (٣) اليافعون والمورنو الكبار (٤) وتبتدى حياتهم الاجتماعية كالمرور (يافعون) بهجر قريتهم وتجمعهم في قري منفردة ومساكنهم لقيات في سن النكاح وهناك ينصرفون الى الحياة الحربية بيد انه لا اثر للاباحية في هذا الطراز من العيش . انهم يتجنبون كل ما فيه شطط ومنه الشهوانيات التي يراعونها مراعاة خاصة بحيث ان ادنى زلة مع صديقات الرفاق تعد امرا منافيا للاخلاق يستحق الاحتقار وفي الثلاثين تقريبا يتم الانتقال الى المرحلة التالية الموران (٥) وهي المرحلة التي تتخذ فيها الحياة نسق الهدوء للعيش المتوسط الدرجة . واما تكريس البلوغ الجنسي فيتم في احتفالات الشروع التي ترتبط ارتباطا وثيقا باطقوس السحرة الاولى وعند اغلبية هذه الشعوب الافريقية يسك الكاهن الممتكر كانه فهد بالمتجدد وبهذه ثم يسدد اليه نظراته واما عند الكيري (٦) فيتنكر الكاهن كانه فهد ويدهن جسمه ببقع مماثلة لبقع جلد الحيوان الهري الذي من جلده يتخذ ما يستمر به عورته . والفهد عند هذا الشعب حرز الملوك الذين تمت

Massai (١)

Layok (٢)

Elmorán (٣)

Elmoruo (٤)

Elmoruo (٥)

Kirri (٦)

تضحياتهم بموجب هذا الطقس العائلي وروح الادخل . وان كان الحوز اسما ففي هذا الاسم الذي يربطه باخوته ثروة ذات مغزى زهدي يجعاه داريا بشعور التضامن الاجتماعي . وفي الثقافة الاطلنيسكية التي امتد تاثيرها الى الثقافة الحامية الافريقية وجود لطريقة سياسية ترى العالم بمرآة دينية صرفة، فالسما مقسومة الى مناطق في عهد اله فيه صفات عمل خاص . حرب وفلاحة وامطار الخ .

فكل هذه الميزات الانفة الذكر تختلف اختلافا بينا عن الميزات التي تقتصر على ثقافة المغرب . فالمجتمع لا يستند الى رتب ودرجات حسب السن والخانة هي الاحتفال الوحيد الذي ينوء ببعض التمييز في حياة المرء وتجري الختانة في المغرب قبل السابعة وهي تجوير للختانة الحقيقية عند الشعوب الطوطيمية (١) ومعناها شروع الفتى في حياة النكاح بواسطة ازالة القلفة العائق الحقيقي او الرمزي للجماع ووجود الختانة في شمالي افريقيا انما هو اثر ابعد للتسربات الثقافية المشتركة بين السيطرتين في القارة الافريقية .

الوشم

للوشم الذي يحمله المغاربة اهمية خاصة . وتعدد اشكاله التي تظهر لا تحصى ولا تنحصر وكذلك اماكنه من الجسد فكثيره التنوع . واما الاشكال المعتادة فهي الصليب . الطرق والدوائر . وفي الريف فصييرا ما يستعملون الخطوط المتوازية او المعترضة . وفي بعض الاحيان تمثل صورا انسانية على نمط النقوش المستعملة في شبه الجزيرة على الصخور والكهوف ويحصل هذا بصورة خاصة في قبائل بني يطف حيث شوهدت عدة حالات . وفي مراکش واسفى على وجه كثيرات من النساء البربريات ينقش رمز اسطرطى اي قمر في قرنى الثور

(١) Totémicos

وتنقش الوشوم على الوجه والجبين والذقن خصوصا وعلى الصدر والافخاذ والايدي .
ففى بعض الحالات يبلغ الوشم معنى اجتماعيا كما فى الريف حيث استعماله
عند النساء هو فى كثير من الحالات شرط مهم للزواج وتقوم بنقشه امراة من
نفس الرتبة الاجتماعية العائلية المخطوبة . وفقط فى حال عدم وجود امراة من
العائلة عارفة بمثل هذا النقش ياتجا الى غيرها من خارج العائلة . فهذه المسائل
تعتبر كعلامات لتأصل الروح القبلية الكثيرة الشيوخ عند الطوطميك وتعتبر
المرأة قليلة الخط فيما اذا قابلت الزواج دون ان تكون قد وشتت وكذلك يعد
شؤوا ان وشتت الفتاة دون ان تكون قريبة من الزواج .

واقدر ذكرنا من ان الوشوم تكون لها بصورة خاصة صورة الصليب والدائرة
والطريق والان فلنتحدث عن معنى هذه الرموز وما هو مصدرها الاجتماعى .
وهذا يقتضى ان نضع مقابلة مع الثقافة الكلدانية - الاشورية الزاهرة التى
منها انبجست عدة تيارات فى مختلف بلدان الشمال الافريقى ان الجيل الذى استوطن
آمايين انهمرين مكان يعبد القوى الطبيعية لانوار الشمس واقدر والنجوم . ومنذ
بد نظاهر اثار فن العائلات الاشورية المعروفة اى منذ ٢٩٠٠ ق . م . اظهرت
هذه النقط الاساسية فى دياتتها وكذلك فى الاتار البابلية لى شياك الثانى (١)
الموجودة حاليا فى اللوفر ويرجع قدمها الى ١٢٠٣ ق . م . وتظهر رموز شاخ (٢)
وشور ياش (٣) الهى الشمس اعصر القاسيط (٤) فالنجمة البراقة هى الرمز الشمسى

Meli-Xipac II (١)

Xaj (٢)

Xurix (٣)

Kassita (٤)

الخامس بابل ولقد امرت سميراميس (١) بنقش نجمة زوجها مزينة بالرموز المقدسة وبينها الصليب رمز شماش (٢) اله بابل الشمسي . فهذا الصليب رمز الوهية الشمس في مابين النهرين وهو ما جاءت به الى الغرب الشعوب الزاحفة في كثير من حملاتها الحربية والتجارية فتاصل عند السكان المغاربة الاولين الذين اقتبسوه بادي . ذي بد . كرمز ديني للاهليجية ذات السيادة وبعد الدخول في الاسلام دام استعماله بينكم التقليد مع جهل معناه الاولى .

وللدائرة اصل مشابه والقرص البسيط هو رمز الاله الشمسي ومن بعد يظهر القرص مجنحاً مثل الذي يقدر في مصر . وفي شكله البسيط الاولى هو الذي ينقش في الوشوم المغربية . وفيما يتعلق بالطريق ففى عهد القاسيط نقش على التماثيل النذكارية مع الرموز المتقدمة بيد انه لازال مجهول المعنى .

وبعض اشكال الوشم المغربي تمثل دائرات ذات مركز واحد وحلزوني . وكثيرا ما توجد في الريف . وعند برويل (٣) هي نهاية ساسلة تطورية ابتدأها رجل رافع الساعدين في حين ان دشيلا (٤) يخالفه ويعتقد بانها نتيجة تحول الشمس والمركبة الشمسية . ولئن كان الامر كذلك فيمثل الاول الشمس وتكون المركبة نصف دائرة فجاء فنان غبر حادق فحصل على نسبة اكبر وصحيح كذلك تغيير التمثيلات الرموزية في الحجريه لما قبل التاريخ فيما يعود الى الوشوم وهي تشير بلا ريب الى وجود عبارات اهليجية قديمة . وفي حالة الوشم الذي يمثل

Semiramis (١)

Xamax (٢)

Breuil (٣)

Dechelette (٤)

شكل حلزوني داخل الدائرة يمكن ان تعتبر كدليل للحركة الشمسية وكثيرا ما توجد ايضا حالة النقطة المركزية والاشعة المنبثقة منها بالنسبة للحالات التي يمكن ان يعين لها مغزى مماثل .

وفي حصن طرونيا تظهر رموز شمسية في شكل دوائر شعاعية بعضها مزين بمنطقتين من الاشعة . ومثلها النقوش التي تزين بعض قطع فسيفساء برتبروس وسبروسو (١) وتوجد ايضا انواع الوشم على اساس خطوط هندسية فالخطوط (٢) المنكسرة مماثلة للصور التمثيلية للطور المكدالاني . واخيرا ان الخطوط التي تشير الى الخرافة المتصلة فيما يتعلق بالخمس التي سنشير اليها فيما بعد وندرسها دراسة وافية فشكلها المتعدد الصور يشير الاعجاب الى حد بعيد . فعلى هذه الكيفية توجد وشوم . وكذلك يمكن ان تشاهد مرسومة بالحناء او بالليل على الابواب .

عبادة الشمس

فلئن كان كما قد شاهدنا لدى تحليل مصدرها فالوشوم تقريبا هي رموز سحرية او دينية وعلامات مميزة لالهة الانسان الاول فيصح اعتبار الوشم كمنطق سحر لطيف او حارس . وبواسطة هذه الوشوم يسعى الشخص الموشوم في ان يجلب لنفسه حماية الالهة التي يحمل رموزها منقوشة على جسده . وتوجد اشكال اخرى من الوشم منتشرة في العالم لها معان تختلف عن معاني هذه . بيد ان التي تستعمل في المغرب ينبغي -دون ما ريب ان يعين لها المعنى المشار اليه فمن وراء هذا تجميل

(١) Briteiros y sabroso

(٢) خواكين لورينثو فرننث Joaquín Lorenzo Fernández الرمز الشمسي في

شرق غربي شبه الجزيرة «موتمر العالم البرتغالي المجلد الاول لشبونة سنة ١٩٤٠

الى واحدة من ميزات السلالة النفسانية المغربية التي اكدنا يميزها الى درجة قصوى ذلك الفيض من الافكار التي استحوذت على العقلية المغربية لما قبل الاسلام ولا تزال حية في خرافاتها، الا وهي عبادة الشمس.

كان لعبادات قوات الطبيعة، وهي الرئيسية انتشار واسع في العالم كله . فلدى انبثاق فجر الانسانية الاولى كانت نفس الانسان تلامس في اتصالها النابض الالوهية التي تحزر وتدرک في المنظر الحائل المريع للطبيعة وترى في الكوكب المنير الذي يطلع طلوعا موثرا في وحدته البهية منطق الكائن الاعلى الذي ينبغي ان تكرس له احدى صلواتها . فالشمس ترسل على الارض اشعتها الخصيصة . فتعمل على اخراج النباتات التي من قسمها العظيم يتخذ قوته . وجمال طلوعها الساحر وغروبها وانتظام دوراتها . كل هذا عمل في اولئك الاميين عمله وترك تأثيرات عجيبة جلبتهم الى حضن هذا الكوكب . فلا ريب في ان هذا هو السبب الاول لهذه العبادات التي تتكرر عند الشعوب المنتشرة في سائر القارات .

ويكتب فروبنوس (١) هكذا: كل شيء متصل بسير الشمس اثناء النهار في عالم انوار الليل والصلة تتحف بالايضاح . وسير الشمس هو الحادث العظيم الذي ينه ضمير الانوار (٢) ويكتب من بعد: «احساسات وتفكيرات موثره تكثف الشمس . ومن هذا يتولد اللغز . فالشمس تتحول الى قرص والتنين رمز البحر في مركب والساحر يصبح كاهنا» .

وهذه الافكار توجد عند اكثر الشعوب تبانيا من حيث الهداية السلافية فعند

Frobenius (١)

(٢) راجع فروبنوس Frobenius في «الثقافة ككائن حي» مبحث اسبابا

كلبي Espasa Calpe مدريد سنة ١٩٢٤

الشعوب الشمالية والهمجية التي تاصلت عندها أداة الشمس حل مع دتشلات (١) على القول في إحدى كتبه (٢) في الواقع ان عبادة الشمس هي التي تركت من بين عبادات الهمجيين في الغرب من عهود ما قبل الرومان في الفن لما قبل التاريخ اثارا اشد ظهورا . ولقد تاصلت تادسلا بعيدا عند الشعوب السامية الحامية للعهد الاولي للبشرية واما عند الشعوب الاوربية فلا شئ يبدل على وجود عبادة الشمس قبل العصر الحجري الثاني بينما كانت قبل ذلك عند شعوب الشرق الاوسط والشمال الافريقي .

واما رمزها في مصر فكان كثير التنوع واسماؤها لا يحصى عديدها وكذلك اشكالها الرمزية . ومن بعض ممثلاتها الاوسيرس وعمون طابس وراوهايو بولس وبطاح منقيس والى النشأة الخاصة تنضم وتمتج في هذه المرحلة .

للعادة المصرية نشأة السحريات ومعاطاتها التي كان لها وجود في عهد ما قبل التاريخ وكانت متصلة بها اتصالا محكم الروابط . ولقد حدثنا عنها فرازر (٣) بهذه العبارات : في كل ليلة كان فيها رع اله الشمس يعود الى مقرة في الغرب الملهب وكان عليه ان يحارب جيشا من الشياطين تحت قيادة ابايى عدوه الدود . كان رع ينازلهم الليل بطوله وفي بعض الاحيان كان الضباب يتوصل الى جعل السماء قائمة بغيوم سوداء . واضعاف نور الشمس حتى في النهار ومن اجل مساعدة الاله كانت تقام يوميا في هيكله في طابا الحفلة الآتية : يصنع من شمع تمثال لابايى في

Dechelette (١)

(٢) دتشلات Dechelette في كتابه : علم الآثار لما قبل التاريخ السلتية

والغالية الرومانية باريز سنة ١٩١٠

Frazer (٣)

شكل تمساح فظائع وحية ذات حلقات لا يحصى عديدها ويكتب على التمثال بمداد اخضر اسم الروح الشريرة فتوضع الصورة في غشاء البايير وعليها الكتابة الملفوفة بشعور سوداء ثم يعلق عليها الكاهن ويقطعها بسكين من حجر الصوان ويرمي بها الارض ويطاها بقدمه اليسرى . واخيرا كان ينهى الحفلة بحرق الصورة في مرقد اشعلت فيه اجناس معينه من النباتات . ومن بلاد ما بين النهرين ومن احدى النقاط الاخرى جات الى المغرب افكار ارشادية لعبادة الشمس هذه ولقد معنا الى عبادتها . وفي الموشيات التي عثر عليها تشاهد غالبا تمثيلات شمسية كما هي الحال في وشى طابع ايليل مورايمك بن اريك دن ايلو الذي عثر عليه في اشور واحتفظ به في برلين

ففي هذا الوشى يظهر قرص مجنج عظمه الوحشى الشمسى وهذه هي الحال عند كثير من النماذج التي عثر عليها .

ومن مصر انتقلت عبادة الشمس حالا الى المغرب فتاشرت في هذه الامصار بقوة لا توصف . ففي عهد ما قبل التاريخ رسمت في جنوب وهران نقوش صغرية درسها فرنيان (١) تمثل كبشا متوجا بقرص شمسى محوط بجينتين وهى صورته ماخوذة مباشرة من صورة امون الفرعونية وهذا مما يدل على ان عبادة الشمس هي التي اعدت الباطن الدينى لشعوب الشمال الافريقى منذ اقدم الازمان . وما عاش منها ولا يزال مصونا ليبدل على ان الباطن الروحى لم يضمحل .

ومن بين الطقوس التي تقوم بها حاليا الكفراديات الدينية الاسلامية بالمغرب تسترعى الانتباه ايما استرعاء واحدة . فعند كفرادية «الحادشة» يضرب الاتباع رؤوسهم بقووس ذات شكل خاص مركب من شئتين حادثين مصنوعتين صناعا

مصحفهما وكتاتهما معا ثولفان شكلا اهليلجها (١) ومصدر استعمال الفاس في طقوس الكفرادية يروى بين الاتباع كما يلي .

كان سيدي رحال - وهو رجل صالح - يعيش في الجبل وكان خنثى ولو كان في خدمته امرأتان غنيتان فسمع السلطان بقداسته فارسل اثنين من رعيته اليه للتأكد من امره وكان أحدهما سيدي علي - مؤسس الكفرادية والآخر أحمد العروسي اللذان ما أن شاهداه حتى تسربت أيهما قد ستمه ورفضا الرجوع إلى مراكز الباعث الذي حدا بالسلطان إلى إرسال عساكره في طلبهما فالتقوا القبض عليهما وحكم عليهما بالإعدام وعند ما حانت ساعة تنفيذ الحكم طلع سيدي رحال من وراء الجبلين متجنباً فلما كانت كفاية لتشتيت شملهم وفي الحال أمدها لسيدي علي الذي بدوره تركها لاتباعه (٢)

وبقطع النفاذ عن هذا التناول ينبغي أن يربى في طقس استعمال الفاس بقاء كائن إلهي إلهادة الشمس فيما وراء روحيات المغربي يمدية في مظاهر كثيرة التنوع . ففي الواقع إنما الفاس هي رمز الوهية الشمس وترمز إلى الأشعة التي يطلقها الكوكب وقد أدركت بشكل مطرقة ومشييراً ما تمثل بشكل اوعية قوية من العنبر أو العظام .

وعادة الشمس هذه تنتشر وتشارها ذلك في القارة الجديدة كغيرها من العادات الطبيعية وتمثيلات كثيرة الشبه بالتي نعثر عليها في العالم القديم ولذا

(١) طوماس غرتيا فيغاراس «الجمادشة والعاوى» (موضوعات عن الحماية)

Tomás García Figueras «Hamadcha y Aissaua».

(٢) القبطان مالدونادو «الكفراديات الدينية بالمغرب» تطوان سنة ١٩٤٢

Capitán Maldonado «Cofradías Religiosas en Marruecos» Tetuán 1932.

ندرج صورة من ذهب لتمثيل الشمس عند جماعة انكسايرو لأنها تبدي وجهاً
شبه مذهبة بنوع الوشم الكثير الشيوع في الريف مما ستعرض لتبانه فيما يلي .
وكل هذا إنما هو دليل على بداية عبادة الشمس التي تحدد تلك الوشوم التي
سنصحبها كذلك بتصميم يتعلق باختلاف أنواعها الموجودة في سائر النواحي المغربية
والتي تفكرتها الانشائية مبدا عبادة الشمس .

الغرائب

وحيث تشاهد مشاهدة تامة مجموعة واسعة للأفكار الوثنية هي من بقايا
أثار الانسانية البدائية ففي الغرائب التي تستحوذ على النفس وتقرض سلطة جبارة
على الحياة اليومية . وعلى كافة اعتباراتها تطبع طابعا قويا من نفوذها . والغرائب
مظهرها المادي فهي كثيرة ومتلفة وتكون على اشكال متباينة وقد تكون
جزوا من الطقوس الفينيقية بيد أنها قد تكون حسب ما يقدر سابقا في تكوينها
اد نعر على رموزها متاصلة في المغرب وهذا ما يتصل لما يسمى «بعلامة التانيش»
المشكلة من مثلث منته بدائرة بخطين منكسرين وفيه نشاهد بقايا لعبادة الشمس .
ومن أشد الغرائب سلطة في المغرب عزيمة القرويين بفاس التي حسب الاسطورة
جيني بها من الفانج وهي كناية عن عصفور من ذهب في منقاره عقرب يصون الجوامع
من القنران و كرة من حجر مجهول يقتل كل افعى تجتاز بصورة من الصور اسوار
القرويين . ففي عند وضعها كانت هذه العزيمة ذات فائدة كبيرة إذ كانت
تتفع حالات الاغتيال لاسباب سياسية ودينية باستعمال زخافات سامة .

وللغرائب فاعليات مادية يمكن ان تصون من عمل الارواح الشريرة وتحفظ
الانسان من مخر الجنة وتشفي من الامراض التي تسببها وتقي من مضرة العين
التي ترعب . والعيون الزرقاء هي موضوع خوف اكثر من غيرها لانها نادرة وعيون

المرأة اشد مفعولا من عيون الرجل وهذا من الاسباب التي تحدو لوضع الحجاب على النساء لتلافى سحرهن .

وللنعال التي تزين الابواب المغربية مثل هذا المعزى . ويكون لها شكل معدنى مخمس الاطراف وفقا لخرافة الخمسة وطريقة ادماجها في الباب متنوعة وتكون عادة في الراوية العليا من اليمين رغم انه يمكن ان تكون من الشمال وفي هذه الحالة يوجهون منتهى اطرافها نحو اليمين خلافا لما يقع في الحالة المعتادة الكثيرة الاستعمال والتي اشرنا اليها اولا . ورغم ان الاطراف المعدنية التي تتألف منها النعال هي خمسة عادة فيمكن ان تتكون من سبعة في مناسبات اخرى . ولتجنب عمل العين ايضا تلفظ هذه الجملة . «خمسة على عينك او قد يكتفى بلفظ «خمسة» وخرافة الخمسة الكثيرة الانتشار في المغرب لهي ذات انتشار في العالم بأسره فيكون ان الخمسة كعدد طقسى توجد كذلك عند الشعوب الاميركية الالهية لقبيل عهد كوكومبس . وتوجد في ضواحي البوحت صوند في اميركا الشمالية وفي كلبغورينا تظاهر بين الكوسطنكس ومن المرجح ان العدد الطقسى «العشرة» يوجد في شمال شرقى وغربى البومو وتظهر الخمسة ايضا بين الكيكانو من اعمال خاليسكو . وهى في اميركا الجنوبية كثيرة الانتشار ويستمعها من بين الشعوب الوطوطو في كولومبيا واليكوبا والتشريفوانو من اعمال انغرا تشركو . وفي العالم القديم في آسيا نعلم ان الخمسة كانت عدد اذا قدسية خاصة .

فلذا كانت الهياكل حيث كان الماو ك يقدمون فيها ذبائحهم الى الالهة ذات خمسة طوابق وتمسنى لسا مشاهدة ذلك في طابع توكاشي ني مورث الاول المحفوظ في برلين بين الشاتيل العريده المحفوظة هنا لك . ويمالك الاسرائليون عدة اشارات في طقسهم توضح مثل هذا الاعتقاد . وما احتفالات عيد «السبخينة»

او « السكوت » سوى مشال على ذلك . ويتفلون بهذا العيد في اليوم الخامس عشر من اول شهور السنة او « تشري » وفيه يدورون بسعفة تنتهي بترنجبة في اليد ودورتهم تتم حول اضبارات احتوت على كتب موسى الخمسة وفي اليوم السابع يقومون بسبع دورات . وعند الكلدانيين كانت تشيد اهرامات ذات سبعة ابواب لسبعة طوابق واما الكلدولبريون الاسرائليون فيستعملون سبعة اذرع . فكل هذا يدل على ان خرافة الخمسة واسطورة السبعة تستعملان عادة كما هو حاصل في المغرب بصفة المشاركة .

وبين الوشوم المستعملة بوفرة في المغرب تمثيلات هاتين الخرافتين وفي الصورة الجرفوقة تشير الى بعضها ومن معاينتها يمكن ادراك الاهمية العظمى التي تتوهم اليها هذه الخرافات بسهولة ولتقديس اليد «علاقة وثيقة بخرافة الخمسة وهذا الى حد جعل منهما تولفان عزيزة اولية في المغرب . فاليد ما زالت منذ العصور الاولى لفجر الانسانية موضوع تقديس خاص تاصلت في شبه الجزيرة الابرية وانتشرت انتشارا عظيما وهذه الفكرة ما برحت قائمة في المغرب اليوم على اشد ما هي عليه مفعولا . فاليد باصابعها الخمس تشكل العزيمة المختارة وتضم خرافتين : خرافة الخمسة وخرافة اليد ويعد بالالوف في المغرب الذين يستعملون «يد فاطمة» كدواء شاف من العين . فعلى سائر الابواب وعتب المساكن المغربية تصور بالاحمر او الازرق يد مبسطة تدفع هذا الشر (١)

وتمتاز اليد في عبادات ما قبل التاريخ بدرجتها البارزة ، ففي سائر الغيران التي درست حتى الان تقريبا عثر على تمثيلات لليد في اما كن نظرا لصعوبة الوصول اليها ينبغي ان تعتبر اولى اضرحة الانسان الاول وهذا يحصل مثلا في كهف

(١) خوليو البريك «نسب السلالة الايبيرية الافريقية الباب الثالث مجلة

موريتانيا» عدد ٢٢١ طنجة . مايو ١٩٤٦

القصر بمدينة سنتندر حيث توجد بكثرة صور الأيدي التي تغطي جدرانها ومثل هذا حاصل في غار غوغس الأمر الذي له أهمية فريدة وخصوصا ما في مغارة الطاميرا ولقد وصلت الدروس التي قام بها في هذه المغارة بصورة خاصة كل من هزي برييل وهوغو إلى الاستدلال على أن للإشارات والصور المنقوشة في الغيران علاقة بطقوس السحرة أو عبادة الحيوان في شكل صنم (١) ومنها يستدل على الفن الأولي المحجر المنحوت على أنها كانت أضرحة لهم. ويصعد تاريخها الأكيد إلى عصور سحيقة كما يذكر في البحث المشار إليه والعصر الأورينا سيسيير ترجع إشارات وعلاقات ونقوش حمراء وأيد مصورة ومنقوشة تمثل أكواخا وحيوانات في أغنية «فعلى كل هذه التمثيلات أن قليلا وأن كثيرا صبغة فنية حسب الفن أو الروح الجمالي للشعوب التي صاغتها وهذه الظواهر حسب تأكيد أو يرميز في كثير من الأحيان غير منظورة وإنما صنعت لمعة العانع والآلهة.

وفي مصر الفرعونية بلغت كذلك الدرجة القصوى من الانتشار فالعلامة «لم» من الحروف الهيروغليفية هي يد وعلامات الكائن و Khu من المقاطع تمثل اليد مع المساعد فانتشرت في العالم الجديدة انتشارا كبيرا (٢) كما هي الحال بالخصوص عند المايس.

عالم ما فوق الطبيعة

فها هنا حيث تلتقي في صوت واحد لا يجارى كافة انغام دراسة سلالة ما قبل الإسلام. فلا شعب البربري الأولي الذي استوطن هذه البلاد منذ

(١) الأب أنريكي برويل والدكتور هوغو وبيرمير مغارة الطاميرا في ستيا ناد

لمار الشركة الإسبانية الأميركية والأكاديمية الملكية التاريخ سنة 1935

(٢) خوسيلو كولا البرياك

المراحل الانشائية للحياة الانسانية، علم غزير في السحر قائم على الحدس والتكهن . وكانت له دراية في العقاقير السامة والمهيجة وفي استعمال خصائص الاعشاب . وكان البربر حاذقين في التكهن وكانوا يتخذون كقائمة لتكهناتهم خطوط اليد وحركات البطن . فالافكار الاولى اتى جات من ارض الكنعانيين تاصات في المغرب وامتد نفوذها بحافز من الخيال البشرى في كنف المحيط العظيم الشان . فالكوارث وصعوبات الحياة والكفاح ضد الوسط المعادى حملت فكر الانسان الاول على ان يضع في محيط ما فوق الطبيعة الذى يدور به مخلوقات شريرة هى سبب تعاسته . فكذلك يمكن ان يقال ان المغرب هو بلاد الجان التى تسكن جباله الجرداء . وصخوره التى لا ترتقى . فالجان هى التى تطارد الانسان وتتحدى الله وليس غير التلوج ما يعوقها عن ان تترفع وتثور على الله فتعود عندئذ ضد البشر الذين في ليلى الشتاء القاسية ينبغي ان ينتظروا من تلك المخلوقات القلقة والمظلمة التى تعيش وتضطرب في نشاط دلمن كافة انواع الكوارث والمصائب (١)

فهذا الازدهار الخارق لعالم ما فوق الطبيعة الذى خلقه الفكر المغربى ينبغي ان يعد في جملة نتيجته لتأثير المحيط في الانسان، وجذوبة اراضى شمال افريقيا الفسيحة ووعورة سلسلة جبالها الكثيرة الامتداد التى لا يشملا وصف واخيراً فداحة مناعة المحيط العدائى الذى يدور بها، ولدت في الفكر الاسباب والحالة المناسبة لتصور عالم حافل بالجان والارواح الشريرة التى تشجع وهى في أحشاء الصخور وحنايا التربة على اعزاء جملة المصائب التى تحدث في الحياة في مثل هذه المقاطعات الغير ملائمة ومملوءة بوسط تعمه الوحشة، الى تلك الارواح . ففى كل جهة نفس النغم المعجزن المعجم الذى مع تناسب مبهظ للرواسى القائمة في البلاد كوخز

(١) - انركى اركس في مملكة الجان المظلمة « افريقيا الشمالية سنة ١٩٢٦

والجان العقاريات المغربية » غزنادى افركا ١٩٤٥

الحجارة الشائكة يطغى على الذات ويعدها لتصور الفرد لعبة قوات غريبة وجبارة
تحيك تعاسته. والجدوبة الموحشة للقسم الأكبر من البلاد تخلق ختماً وجوداً
مضنكاً، فتبهر نشاط الارواح الشريرة المشنوم فيساعد في هذه الحالة الوسط على ما
يتطلبه الفكر. ويبدو مفعماً بعويل الارواح هبوب الريح التي تعصف في حناجر
تلك الوهاد. وفي فصول الشتاء القاسية في جبال غمارة أو الريف المرعبة يحدث
المنظر العر في قرارة النفس روعاً يشحذ الخيال ويدفعه في طلب جان يعزى
لهيجانها الكوارث التي تقع. ففي منظر الطبيعة ينبغي ان يبحث عن سر الصكابة
العميقة المريرة التي تشربها هذه الاعتقادات الغابرة لسكان المغرب

ومن اجل التغلب على حيلها واخضاعها لمصلحة الانسان اوجد هذا السحر
الذي تأصل في المجتمعات الاولى البدائية تاصلاً خارق العادة.

فالسحر الذي أطلقه - دائماً سرية - تولى ما اسماه اوغست كمت رسول
الايجائية "بجالة العلوم اللاهوتية" وتوصل سريعاً الى مكانة رفيعة ما زالت حتى
الآن عند الكثيرين من الشعوب الاميركية.

ويبلغ السحر العلاجي عندئذ ذروة مجده اذ يحاول ايقاف الامراض الشريرة
التي تسببها تلك المخلوقات. والترياق وهو (الشراب المقدس) يعد بواسطة
اختصار عصير بعض النباتات التي تم جمعها وفقاً لبعض الطقوس الخرافية. ووجود
هذا الشرب تعترف به الثقافات القديمة على اختلافها واسمه في الهندية (صوما)
وهو (التولاسي) المعد لفشنو الخ. ولا نهاية لتعداد المستحضرات التي تستعملها
المدواة السحرية. ففي جنوب الجزائر والمغرب وتونس للضب المسمي اورصستي
اهمية كبرى فمنه يستعمل الجلد والمخ واللسان في الطقوس السحرية نظراً لكون
ذنبه يتألف من احدى وعشرين حلقة وهذا عدد رمزي في السحر -

فالجان التي تحدثنا عنها والتي توجد في عالم ما فوق الطبيعة امهدا قبل الاسلام

في الشمال الافريقي تنسب الى اكثر الرتب اختلافا (١) الابالسة والشياطين
والعفاريت الخ وقليلون هم ابناء البشر الذين تمكنوا من التسلط على جنهم . واما
في الشرق فيعد سليمان من اعظم الساحرين وسيد الارواح الارضية والعلوية
انكانت له عليها سلطة مطلقة وهو ذلك الملك الاشد صولا والأوفر مالا من بين
ملوك الارض وسلطته هذه يعود الفضل فيها الى خاتمه العجيب الذي كان فسه زمردة
نقشت عليها نجمة . وامتدت هذه الشهرة الى الغرب في عهود التوسع الاسلامي
وتشهد بذلك رواية مأخوذة من (تاريخ) ابن حبيب في القرن العاشر
حيث يقول :

« اثناء فتوحات موسى وصل هذا الى نقطة عشر فيها على صناديق نحاسية .
ولما كان يجهل ان سليمان كان قد حبس فيها عفاريت امر بفتح احدها فخرج
احد العفاريت وذن انه يتكلم مع سليمان فقال لسليمان وهو ينقض رأسه :
« انني احبيك يا نبي الله ! لقد افرطت في قصاصي في هذا العالم ! » ثم لما شعر
بان الذي اطلق سراحه لم يكن سليمان ولي هاربا خوفا من ان يعود ثانية الى حسبه .
وكما ان سليمان في الشرق سيد الجان فمولاي عبد القادر الجيلاني سيدها في
الغرب . بيد ان هذا الامر ليخرج عن الموضوع بحد ذاته .

وكثير من الجان ، تظهر باشكل خداعة يظن معها انها تسكن في روح الصخور .
وهذا ما يحصل في الريف حيث وحشة الجبال القاسية الجرداء تبدو كأنها مراتع
الجان . وانها تشبه اللوحة الزهيدة لقرويل حيث نفس الجبال متوشحة بوشائج
السلطان (ابليس) الارجواني - البنفسجي وقد اختفى وجهه وراء النجوم القبراء .
ولا جرم ان ساعدت النواحي الجبلية في العالم على ازدهار عالم ما فوق

(١) - ضون طوامس غرسيافيجارس (D. Tomás García Figueras)

معلومات عن الاسلام في المغرب «العرائش» .

الطبيعة بشكل خاص. فهذا ما هو حاصل في منغوليا حيث تحترق مساحاتها
الفيححة الجبال الجبارة اذهباك يجري نفس الحادث بميزات كثيرة
الشبه بالتي في المغرب فالطبيعة الجبارة تتكلم الى نفس ابن البلاد عن القوات الخفية
التي تتامر ضد ابناء البشر (١) وهذا ما يحصل في المغرب وكثير من الطقوس
المستعملة لا بطل مفعولها المشؤوم شبه غريب بالطقوس المستعملة
في منغوليا. وهذا ما يحصل في مسألة « الكراكز » المغربية التي

(١) توجد اراء شديدة التباين حول درجة تطور البشرية تظهر فيها فكرة
الارواح الشريرة. يوكداء - هيم : ان الانتقال من حياة الصيد المجتنية البدوية
الى الحياة الحضرية الزراعية، يأتي بفكرة الآلهة الرووفة التي ندين لها ببركة
الارض... وتنضم الى العقاريت هكذا الهة صالحة وحكيمة والى هذه الالهة
تعزى القدرة العليا اكثر الديانات تقدما بينما يرتائي ولهم كوبرس « ان لاصحة
لعدم وجود الارواح والآلهة الرووفة قبل مجيئ الحياة الزراعية. اذ ان الاعتقادات
التقليدية بالارواح المخيفة والعقاريت تظهر على الاصح بين اكبر الشعوب بدواة
وغيرها من الشعوب الفلاحة المتأخرة وذلك نتيجة للانحطاط العالم بالكائن الاعلى
من جهة ولا انتشار خاص للاعتقاد بالارواح والنفوس من جهة اخرى (عام الارواح)
ولهم كوبرس « الانسان الاول والديانة الاولى » ابجاث معهد برنردينودي
شهاغون لدراسة السلالات البشرية من حيث الوسط والتركيب الجسدي التابع
للمجلس الاعلى للابحاث العالمية. باب رابع دفحة ٩٠٦ مدريد سنة ١٩٤٦) واما
فريبنوس فيعتقد بدوره : « ان قضية الجان لهي حتما من نتاج العالم الادنى
ولها اتصال بامور شهوانية قريصة الادراك ثم تتحول الى جنى مفرد (فالرومان
كانو يقولون نومن) بفقد الارتباط القوي الواعي لادراك الاستقلال الشهواني
الظاهري. ويفرض المجال الحيوي الطبيعي تأثيرا هاما على الشكل والقوة الحيوية

ايست سوي كوم من الحجارة تقام كهديّة للجبان التي تعيش في مثل تلك الاماكن الملعونة. فعلى شاكلة « الاوبوس » او النصب المقدسة التي يرفعها كهنة الهندوس في اما كن محفوفة بالاعطاش وهي كناية عن مذابح اقيمت للارواح الشريرة ويتم تشييدها في السفوح الجبلية « طانواو لا اوانان ثان » وهي كناية عن جذوع اشجار اسندت الى صخور بشكل مكعبات طولها ثلاثة امتار. ويقدم المارة خضوعهم الى هذه لمخلوقات فيعقلون بالاغصان « الاوبو » شريطا من حرير ازرق تسمى « هاتكس » او الشناب وتطعم لحما وفناجين الشاي او قبضات من الملح فهذه العدد والخرق وهذه الهدايا تشبه التي يعلقها المغاربة في « العار » وتقوم هذه الاتقادات على قاعدة عقلية واحدة وعلى ادوار للسحر متشابهة.

المجموعات الثقافية وعلى هذا المنوال كذلك يكون التأثير على شعور المجال الانساني وتعمل القوة الحيوية الجان اذن متجهة نحوها هو عبقرى في شكل خاص ثم تتلاشى في تركها المجال الحيوى الغير محدود (تأليف جاليات). « بيد ان هذا لا يقتصر على تبديل المكان الماهول بل انه يمتد الى خنق المجال الحيوى مثلاً في سبيل تأليف العواصم الكبيرة » (— ليوفريسينيوس صفحة ١٥٠ op. cit) ويكتب مريت الاستاذ الشهير في جامعة او كسفور هذه العبارات : الانسان الاول يقر نفسه في اشياء هي بالنسبة الى علمنا قاعدة الحياة او الشخصية وهو يفكر ان لها نوعاً مختلف الجسم غير انه موحد لشعور والحركات بيد ان هذه الاشياء لايعني انها قادرة على تقليد الشبح كما يفعل الانسان عندما تتركه روحه موقتا او عندما تتحول بعد موته الى روح من الارواح وعند ما الشئ من جهة اخرى او الشخص — يقعان داخل النطاق التحليلي لما فوق الطبيعة ويوقد ان الخيال كمعجزات فيتوفر ما هو اقوى من الداعي لان يحاول الهمجى تغيير السر الذي ينبض في الظاهرة الغريبة او في ما وراءها. « ر. ر. مريت دراسة سلالة الانسان بالنسبة الى المحطّر جهة مدريد ١٩٣١

ولجان اخرى ميزات حامية وهذه الفكرة قديمة كذلك في الشرق فيكون
ان الجان المجنحة التي في قصر اشور ناشير بال في طاجو العظيم كان موكولا
اليها نظرا لفضائلها الحامية امر الدفاع عن ساكني القصر الاما جد ضد الارواح الشريرة.
والجان المعدة كالة للريح نظرا - لاجنحتها تمثل براس رجل او نسور .

السحر

الاراء متضاربة متباينة لاقامة صلة بين السحر والديانة « فالسحر والديانة
يكتب مريت (١) هما من حقل واحد الاختار البشري وينتميان الى احد الحقلين
العظيمين للعالمين لنن صرح لنا تسميتهما بذلك حيث كانت المعركة الفاصلة الاختار البشري
خلال تاريخه العام . اما كلا الحقلين فينتميان الى عالم ما فوق الطبيعة الى ديانة
الاختار الى منطقة الفسق في الدماغ « وما عالم ثان وهو كرخت (٢) فيد حض
فكرة الاسبقية الزمنية والعرضية السحر بالنسبة الى الديانة ويعتبر مرفوضة من حيث
وجهة درس ما قبل التاريخ كل النظريات التي تتنا في مع راية « ففي حقل ابجائنا
يكتب نقصر على ان لا نقبل ان التمثيلات الاولى التي صاغها الانسان لما هو الالهي
كانت في نشأتها الاولى على حد من البساطة والحالة البدائية كما كانت عليه
الاشكال الاولى البدائية للفن والاقتصاد . وثمة مستند اخر من جملة
مستندات نظرياتنا وهو الاعتبار ان السحر ما كان ليواف عاملا خالقا وانما هو عامل
مشتق ثنائي لا مصدر اولي . »

والسحر اللطيف كطقس عملي يقام في سائر نواحي افريقيا الاستوائية ويصف
فروينوس مشهد احضره سنة ١٩٠٥ في ادغال بكر بين الكاسي واللوبي

(١) مريت صفحة 166 op. cit

(٢) الاستاذخ . كرخت « انسان ما قبل التاريخ كخالق : العالم الروحي للبشوية

في العصور الجليدية . » برلين ١٩٤٢

قام اثنا عشر المبحر من الاقزام قبل الشروع في صيد وعل برسم هذا الحيوان على الارض عند طلوع الشمس ورموه بسهام اقواسهم (١) ودرس استاذ جامعة برشلونة الشهير ضون مانتشور المغر وجبل اسلين بوكرس (الصحراء) (٢) وهو مثال اخر الاضحة الاولى التي تجرى فيها طقوس السحر اللطيف وقد عثر في ذلك المكان على نقوش في صلب الحجر هي لحيوانات يطبق عليها الرحالة الصياد سحره. وهي اضرحة قبائلية يعتكف فيها الرئيس او الساحر لمناجاة الارواح الحيوانية الممثلة وجعلها تتحول لمصلحة الجماعة.

واما سحر الصيد فيقوم على فكرة هي ان الصياد يكتب سلطة على حيوان حال تسلطه على صورته بطرق سحرية وهذا يعنى بسلطة على روحه ولسائر المجتمعات البدائية اطلاع على طرق مختلفة للاتصال بقوى ما فوق الطبيعة. وزيادة على هذا المزيج يزداد مسحوق ذنب العقرب. فهذه هي الروشاة التي في عرف السحر لتحضير السم الكثير الاستعمال في بعض الحالات. واما تحضيره فينبغى ان يقوم به رجل لباسه الكامل من جلد مدبوغ او من جلد ماغر يكسيه من ام راسه الى اخمص قدميه.

بقايا وثنية

لقد لاحظنا كثيرا من الطقوس والعوائد التي ما زالت حتى اليوم في المغرب والتي تنم عن ميراث غير قابلة للاخذ والود من انها تعود الى اصل سحيق لهد ما قبل الاسلام. فالبقايا الوثنية كثيرة في مختلف نواحي عقلية الشمال الافريقي. بيد ان كافة الابحاث المتعلقة بالاوجه الاولى للعبادات تصطدم بعقبات ذات

(١) لويوفروينيوس وهزي برويل «لافريك» (دفاتر الفن) باريس ١٩٣٠

(٢) الاستاذ ملتشور المغر «فن ما قبل التاريخ في الصحراء الاسبانية» مجلة

افريقيا عدد ٣٥-٣٦ مدريد سنة ١٩٤٤

صبة خاصة . فالتماعل العربي في البلاد فرض على السكان تأثيرا ذا اهمية متباينة وتوصل الى فرض لغة عربية على بقاع فسيحة الارعاء . ومثل هذا ما حدث لواجه اخرى من الناحية السلاية--الثقافية التي تحدثنا عنها ومن هذه تشا صعوبة التوصل الى الميزات الاولية للعقلية المغربية .

الحجارة . ان من بين المدافن التي تصنع للاولياء المساعين في المغرب المدفن المسمى « بالحوش » وهو ضريح بسيط مكون من دائرة من الحجارة تحدد قبر الشخص الذي يقده الشعب .

ان هذه الهمية التي تعطى في المغرب الحجارة كعامل رئيسي لهي من اقدم المخلفات بالنسبة لمعتقدات شمالي افريقيا . فالدنا جيون الذين يعيشون في وادي (=) الصفاف ويتخذون اسم اولاد الجهلاء « اولاد الوائين » وقد اقاموا حديثا على قبور موتاهم « الصوب » اي حجارة كبيرة يقيمون حولها شعائرهم الدينية .

واما « الكراكير » المغربية فتنتهي الى هذا النوع من العبادة يقام « كركور » بمناسبة وقوع اغتيال لدلالة على ان المكان الذي وقع فيه محفوف بالاطرار ولدفع الشريرمي كل من المارة حجارا على « الكركور » وبهذا يصون نفسه من الشر الذي كان يحوط به ثم يطلق ساقيه للرياء . واما « العار » او كوم الحجارة او ما يعاق على الاشجار تقديماات تتكون عادة من سبعة احجار صغيرة اي حصبات مشدودة كلها بمرسة اوسلك . وفي قضبان حديد نافذات اشهر الزوايا الاسلامية تعلق الاحجار ملفوفة بقطع من الاوب حيث تبقى مدة من الزمان ومن بعد تؤخذ لتتحول الى غزيرة قوية المفعول . وفي مدينة العرائش تعلق تقديماات اخرى على المدفع الكائن

(١) يتغذر الجرم في صحة نقل هذه الاسماء والمسميات الى العربية نظرا التحريف الناجم عند الاوربيين من اخذها بالسمع ووضعها بحروف ائتهم مما يجعل اعادة بنائها في غاية الصعوبة حتى على اقرب الناس منها معروفة .

بالقرب من « برج اليهودي » وهذه التقدّمات هي كناية عن حصّات مشدّودة بسلك يتركها صاحبها مدة في مؤخر المدفع ثم يعود الى اخذها يستعملها كعودة . وفي قبيلة بنى يطفّت يدالك المصابون بامراض الكبد مرّات متوالية بحجر كبير على شكل شحمة الاذن كائن على مدخل احد الاضرحة التي تجلب الشفاء . والدواء المعتقد استعماله ضد الجنون في قبيلة بنى يطفّت كذلك يقوم على ان تؤخذ سبعة احجار من سبع طرق مختلفة وترشق من فوق الراس عند الظهر ساعة وصول الشمس الى السمّ ولهذه الحالة الاخيرة صلة اجلال من نوع عبادة الاحرف في خرافة السبعة .

وتسمى كوم الحجارة الصغيرة التي تدل على طريق احد الاضرحة ذات الاهمية « بالنصب » . ويؤكّد ر . خرنو (١) ان في مقاطعة قسطنطينية لازالت توجد عادات وثنية خصوصا عند اولاد عبدي تشمل رباعهم الاربعة : اولاد عمر بن داود وولاد علي بن يوسف وولاد مسلم وولاد مهدي وكذلك عند سكان نارا وسكان منعة الذين يقطنون المناطق الشمالية الشرقية الجبلية في وادي واد عبدي وواد عبيود واشهر اعيادهم تقوم على تبديل احدى اشجار المنزل الثلاث في الارض التي تدور به . فهذه الامثال كلها تدل على العبادة القصوى للاحجار واما المصدر الاولي لعبادة الاحجار فينبغي ان يبحث عنها في افكار الدفن عند انسان العصر النيوائي الذي كان يشيد لحماية الميت مستطيلات من الحجارة مركبة من بلاط صغير مغطاة بصفائح حجرية . وتظهر طقوس الدفن بوضوح منذ العهد الموصديني . ومن دراسة نواويس البرتغال حيث تمثل كافة النواحي التطورية فيستدل على ان الاضرحة الاولى مولقة من دائرات كبيرة من الحجارة شبيهة « بالاحواش المغربية » . وفي العصر

(١) ر . خرنو « عملية شق الجماجم في الاورس » الانطروبولوجية »

النيرليبي الاخير تظهر النواويس في شكل مشى ومن بعد تتحول الى مشى مغطى (١) وقد عشر على مثل هذه المدافن التي تعود الى العصر النيوليتي في المغرب. وهذا ما هو عليه مدافن وادلو التي عشر عليها اثناء تشييد سد على طالا سنة ١٩٤١ وهي تمتد على الضفة اليسرى لودلاو في قبيلة بني حسان وتبدي هذه الميزات (٢) الى نفس هذه الافكار تنتمى نواويس ومسائل تلك العصور من تاريخ البشرية. وفي المغرب حسب نيسو مثل هذه الآثار التي تتعاق بالمدافن هي مثل التي عشر عليها في الجزائر وتونس. والنواويس مثل التي في روكنيسة ومزالة وبومرزوق في الجزائر قوامها اربعة احجار خشينة غير منحوتة مغطاة ببلاطة موضوعة افقيا. والفارق الكائن بينها وبين نواويس الجزائر هو ان هذه لها شكل مستطيل والمغربية لها شكل منحرف عرضه يتراوح بين ٧٥ و ٩٠ سنتيمترا. وتوجد النواويس في قمم التلال مولفة من مجموعات صغيرة وقد يعشر عليها في حياريم ودكرار وغللمان وامريس وفي الهضبة التي تفصل حوض واد خلف عن حوض واد بوغدو وكذلك المنحدر الجنوبي لتلة عين الدالفة وهكذا في منطقة حماية اسبانيا في الناحية التي تمتد بين ثلاثاء رياسنة والقصر الكبير وكرملش مزورا يوجد على مسافة خمسة كيلومترات من سوق الاثنين وتسمى «وتد» المسلة الكبيرة التي علوها يبلغ خمسة امتار. وهذه المسلة كانت حسب اعتقاد ذلك الزمان مقر الالهية.

وفي العصور التاريخية المحضة احتفظت الشعوب السامية ومنها الفينيكية بوجه خاص بهذه العادة. وكانت الحجارة تتمتع بطقوس خاصة مختارة. وكانت هذه الشعوب

(١) خوسيه بيرث دي برادس «النواويس الاسبانية» منشورات مجلس رعاية السياحة رقم ٢ مدريد.

(٢) بلايو كنتارو اطوري «معلومات عن الاركيلو في الموريطانية في المنطقة الاسبانية تطوان ١٩٤١

ترمز بعمود من حجر مسمى « بنت الل » والبنت اللوس « او مسمى بوث » اي بنت الله او الالهية.

وهكذا كان عند ما كان ينزل التجار الفينيقيون الى احدى السواحل ومعهم بضاعتهم فانهم كانوا ينصبون حالا الى جانب خيامهم الحجر الخشن الذي يقوم بحراستهم . وكان الاله ادونيس . اله بيلوس يعبد في شكل عمود من حجر . وما زالت هذه العوائد محفوظة في كافة البلدان التي استعمرها الفينيقيون وفي امكانها ان تثبت صحة هذا الامر كما في نفس الحبشة وهي احدى البلدان التي فتحها الفينيقيون في غزواتهم التجارية . ومن جملة الجسمين مال الموجودة في ضواحي مدينة عدوى فالمال الاكثر بساطة هي نظيرة « البنت اللوس » القائمة على شواطئ فينيقية ومنها ما تعيد الى الذاكرة « الحجارة القائمة » في النيل وعليها زخارف وطين في كثير من الحالات تدل على عبادة الشمس مثل « زهرة الشمس » وهي من الشارات التي تخول ردها الى الآثار الفينيقية . ولا ريب في ان الفينيقيين هم الذين عرسوا ونشروا عبادة الحجارة .

واكن وان كان الفينيقيون اشد الماضين في عبادة الحجارة في شمالي افريقيا فقد سبقهم الى هذه العبادة اليهود فبعض الحجارة كان قد صاغها اليهود الاولون لكائنات عجيبة تخفي قوة غريبة تنبض في اشكالها البدائية قوة الالهة . وكان اليهود قبل بناء الهيكل يقيمون طقوسهم الدينية حول حجارة مقدسة متقنة التكوين او موضوعة على قمة اهرام او مرفوعة في وسط الحقل على شكل مال . وهذه الحجارة كانت تكون « بنت الل » اي بنت الله لانهم كانوا يعتقدون انها تصون في صدرها قوة لما فوق الطبيعة وعليها كانوا يضعون تابوت العهد او الصندوق المقدس .

عبادات طبيعية

الى جانب عبادة الحجارة تقوم في حنايا نفس المغرب عبادات طبيعية كثيرة الانتشار نخص بالذكر منها عبادة الينابيع والغيان والكهوف الخ وعلى ابواب جبالها تذبح الحيوانات ذات اللون الاسود على وجه التفضيل او تحرق عناصر خاصة نباتية المصدر . ويقوم هذا الاعتقاد على الخرافة القائلة ان التربة ملك الجان تقطنها وتتخذ من الغيران مساكنها ولكثير من الينابيع ذات المياه المعدنية قوة على الشفاء من الامراض بفضل مفعول هذه الارواح . ولعبادة غيران "تمسشدش" اهمية كبرى بارزة وان كانت لا تجري في كافة القبائل بصورة واحدة .

ومن اهم الغيران المغارة التي في سفوح مكوبا لشفشاون وتسمى "كهف حنة مسودة" فيها يقال انه عاش الولي مولاي علي بن رشيد . وعلى مدخلها تحرق الاعشاب وتوضع النذور .

وفي المغرب ينابيع وبرك مقدسة المياه . وهناك اساطير عديدة منها ما يعود حتى الى العهد الاسلامي نحاول تعيين اصحابها بالضبط اصحابها العائد الى ما فوق الطبيعة وان كانت هذه الافكار تقوم في الواقع على معتقدات راسخة الجذور في نفس العوامل الوثنية الاولى للبشرية . ومن بين هذه الاساطير توجد اسطورة تتعلق بعين "الحوت" في تلمسان وقوامها ان احد الفتيان من اولاد سلطان تلمسان في القرن الثاني عشر مر بالقرب من العين في طريقه الى الصيد فوقع نظره على فتاة حسناء تسير مذعورة وهي حاملة جرتها فبغت في مشيتها لان وجهها لم يكن مجحوبا دون ان تعلم ماذا تعمل . فترجل الامير عن حصانه وضم الفتاة بين ذراعيه وقبلها الامر الذي احمر منه وجهها كاحمرار الرمانة والقت من شدة حياتها جرتها وغطت وجهها «بالحانك» فلم ينفهما شيئا حيا وهالان الفتى كان قوي البنية والح في اظهار لواعيه

مجالوا اختطافها ارضا لرغباته فلم يكن عندئذ من الفتاة الا ان تخلصت منه والقت بنفسها في الماء حيث استحات الى حوته. ومن آنذاك والعين تسمى "عين الحوت" وتعتبر هذه العين مقدسة.

ومن بقايا الافضلية التي تسدى للمياه هذا العيد الذي يسمى "عيد العنصرة" او "عيد الماء" الذي لازال مرعيا في المغرب رغم اسلاميته ففي هذا العيد يقصد آلاف الزوار الشواطئي حيث يتجمعون. واما سكان الجبال فيحملون الشابات والطبول ويقصدون السواحل على الاقدام او في الزوارق وهم يعزفون على آلاتهم مقابل سكوت النساء التام.

وعزفون الماء اهمية كبرى تتعلق بمجموعة هذه الافكار والمعتقدات. وفي العقلية المغربية تتاصل كل انواع المعتقدات التي تتركز على الوهية الماء وهكذا يوجد في مقاطعة مرفا كباس فرضة صخرية في صخور الشاطئي بالقرب من المكان الذي يقوم عليه ضريح الولي سيدي يحيى الورداني. ففي هذا المكان تولف مياه البحر بركة هادئة حيث تفتس النساء اللائي ترغن في ان يكون لهن ذرية وهن يرددن الصلوات التي تدوم ما دهن في الماء وبعد ان يمر وقت على هذه العمليات يشعن بانهن حوامل.

والى جانب عبادة الغيران والماء توجد عبادات اخرى لمظاهر الطبيعة كعبادة التلال. وفي المغرب مكان ذائع الصيت بهذا الخصوص اسمه يعرف العامة "اللة الفطسا" وهو كناية عن تلة رملية كبيرة قائمة بين مرفا كباس وتغسا وتبعد عن الاول ما يقرب اربعة عشر كيلومترا ومئة متر عن الثاني.

ففي هذا المكان تظهر الطبيعة برافعة جميلة اذ ان الشاطئي مكسو بالاعشاب ذات الاخضرار الشديد بينها بعض الاشجار الباسقة التي توضع حدا الافق ملمعة اليه في اشراقه المترامي وخط الشاطئي مع المستطيل ذي

المنعرجات اللطيفة المفصوم من حين الى اخر بالصخور الوعورة الساحل يضع
الحد الفاصل بين اليابسة والبحر ويشكل اطارا باهيا ينطق كل ما فيه بقوى الطبيعة
الجبارة.

ففى مثل هذا المشهد ترتفع التلة على علو يتراوح بين ١٨ و ٢٠ مترا وهي
النقطة التي يتوجه اليها النساء المغربيات من سكان المقاطعة اللامي ينغص عيشهن
العقم . يتجهرن بالقرب من التلة المذكورة بعد ان يلقين عصى الترحال فيشرعن
في اعداد ذواتهن روحانيا مرددين صلوات طويلة لاكتساب بركة الله . وبعد ان يتم
كذلك تطهير انفسهن يصعدن الى قمة التلة ومن هنالك يتدحرجن بسرعة الى
السفح . ويعدن هذه العملية سبع مرات - دائما ينبغي ان تظهر خرافة السبعة - التي
تنتهى بانهاك قواهن وتسبب لهن شبه اغماء بلارضوض لان طبيعة الارض رملية .

واذا ما تمت ممارسة هذه الطقوس يسرعن في الحال الى الاستحمام في البحر
في الجهة المقابلة للتلة . والعقيدة متأصلة على ان المرأة التي تراعى بامانة هذه العمليات
تحمل بعد اربعين يوما اعتبارا من اتمامها للعمليات المتقدمة الذكر .

ففي هذه الاحتفالات ينبغي ان تلاحظ افكار ومعتقدات قديمة العهد متصلة
عند مختلف الشعوب . فالمعتقدات التي تسربت من الشرق الى شمالي افريقيا وخصوصا
التي كانت ما بين النهرين تسمح بالحكم على ان لهذه العبادات الطبيعية علاقة
وثيقة بالتي كانت تقام هنالك . فالغيران كانت في عرف المعتقدات التي جأت
من بين النهرين موضوع اجلال وتقديس واحترام . وقد فسد سمانصا سنة ٨٥٣ ق.م .
ينابيع نهر دجلة فنقش اسمه عليها وهو اول شاهد خطي محفوظ لمثل شدة العبادات .
وفي المتاحف الوطنية في برلين ما زال محفوظا الشعب البارز لتغليبيسي الاول في
ينابيع دجلة في الاقليم الذي كان اسمه حينئذ نيري (شمال ديار كيرحاليا)
وهذه العبادات لا تقتصر على المغرب طالعانتبت وجودها كذلك في جنوب شبه
الجزيرة الايبيرية منذ غرود قبل التاريخ كما يتسنى لنا مشاهدتها في الاشياء المصورة

على صخرة الملح التي قام بدراستها جورج دوارد بونصور حيث يظهر سيلانو اله العرف وحورية راقصين امام مغارة في احتفال ديني سحري صرف (١). واما فيما يتعلق بعبادة المياه ففي بابل قام ارفع تمثيل ديني وهو احتفال الانتاج الذي كان يتم بواسطة النخلة المزروجة الجنس اذ يمسك القائم بالطقوس وهو الملك الذي كان في نفس الوقت الكاهن الاكبر وعاء فيه "ماء الحياة"، بيده اليسرى. وكذا ليل على رتبة الماء هذه ولرسم سيادتها كذلك وتتميز تمام ساطعة الملوكة كان هولاء يغطسون في البحر اسلحة الاله اشور. الماء عند سائر الاساطير الشرقية تمثل الحياة. ففي مصر وفي معتقداتها الوثنية لمنشأ الاله ان المصدر الاول لكل حياة وعلة وجود سائر الاشياء يقدر انه هو البداية المسماة "نون" التي ينبغي ان نرى فيها تجسد الماء الرزمي كما يتضح في تفسير طلوع الشمس اليومي منبجسة بشكل طفل - هرميتشيس - من زهرة لوطو السابقة في النون. فتوم او اتوم - احدي ظاهرات رع - الذي عبد اولاً في مصر السفلى خصوصاً في هليوبولي وهو اقدم اله كان في "المياه" في البلملة القائمة للعالم الجنيني السابق لطلوع الشمس لأول مرة. وعقيدة الوهية الماء هذه ما زالت منذ فجر البشرية تجدد حياتها في مختلف المعتقدات الوهمية متغلغلة ومنتقلة مع الثقافات المتعددة. فهذه هي حال الاله الاقليمي "اوسيان" المعبود عند سكان الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة وسكان موريطانيا. ولقد عثر العالم زون بلايو كنتارو في حفريات او كوس على طنف قيم من البرونز يمثل الاله المذكور. وهذا الطنف يماثل الطنف الذي عثر عليه في جزيرة سانيتي بنزي (قادس) وهذا مما يدل على عبادته في الساحل الهسبيري.

(١) جورج ادوارد بونصور "الرحلة الجيولوجية على ضفاف الواد الكبير".

نيويورك ١٩٣١

عيشة قنديشة

وهناك جنسية تثير شديد اهتمام هي عيشة قنديشة، امرأة جميلة تغوى المارين المذكور المنفردين فيما اذا التقت بهم في اماكن بعيدة بدافع شهوانيتها التي لا يكتف بها اجماع. يعتقد اهل البلاد انهم رأوها في مناسبات عديدة، وهي تستحم في غدران رقراقة المياه تعوم فوقها شعورها الحريرية الذهبية. واما جمالها فجذاب وبالاخص السحر الذي في عيونها التي تقود الى ارتكاب الفحشاء. لها جسم غض بديع الصنع واما رجالها فهم رجال ماعز او حمار وهي تحاول اخفاءهما بحذر بين طيات "الحايك" او ان لها - وهذا الاغلب - رجالا كأرجل النساء. وجسمها جسم ماعز مع ضرعين كبيرتين متدليتين.

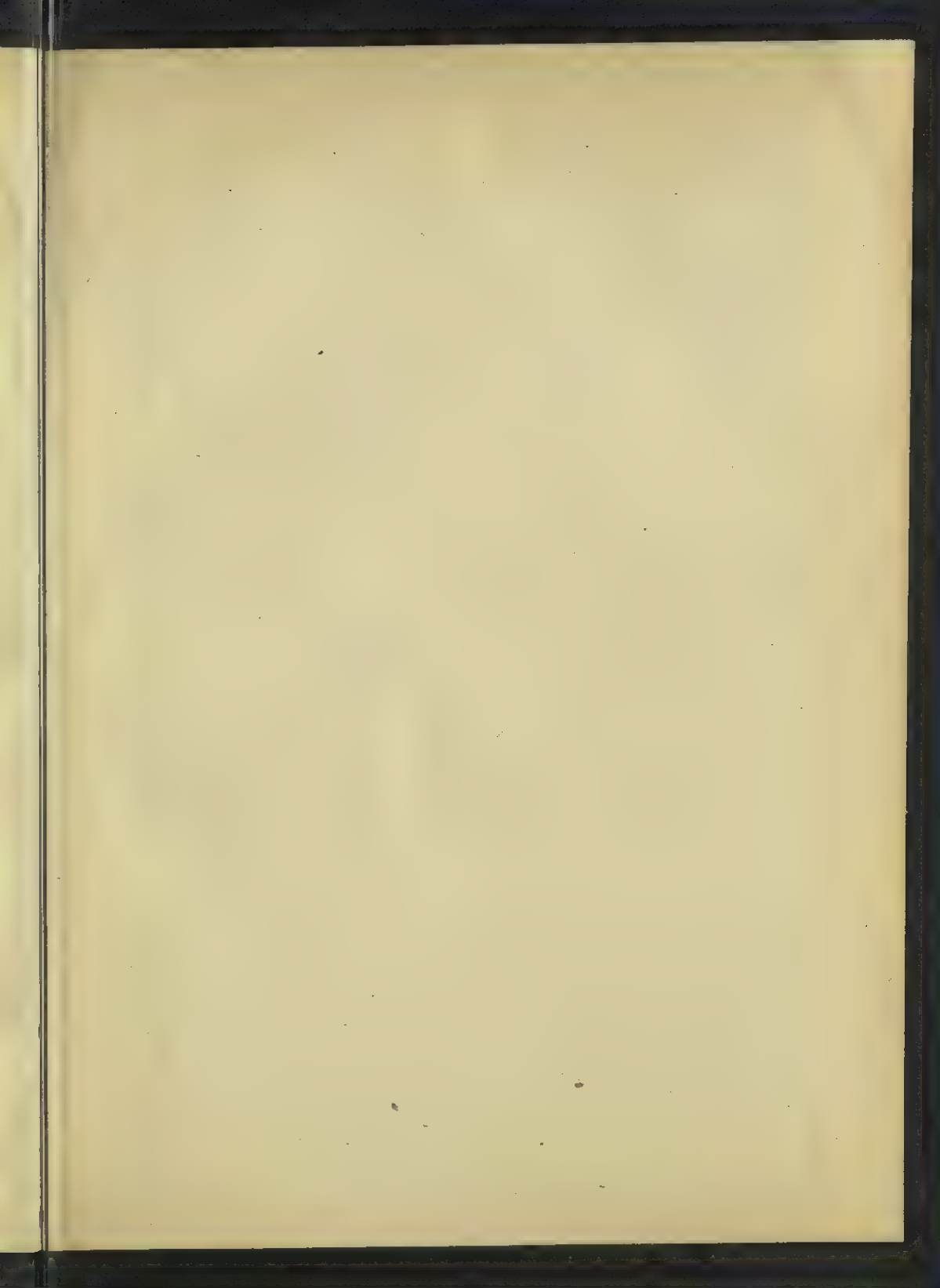
توجد عدة اسباب تسمح بان يفترض ان عيشة قنديشة هذه هي من مخلقات الهة الحب الفينيقية "اسطورة" فيكون اليها حمو قبيلو الاله هان. ويشت هذا الامر فيما اذا اعتبرنا ان في كافة عبادات الشرق الادنى القديمة تظهر حالات مماثلة من حيث وجود الهة الحب ميزتها الاكثر بروزا في تمثيلاتها هي نمو ثدييها نمو اخارقا وسندهما بيديها. وكانت تمثل اسطار الهة بابل اخت شامش كالهة للشور، عريانة وهي تسند ثدييها بيديها وان المنحوتات التي تعرفها "لاسطار" تدل على طبيعة انوثية قوية البروز الى حد الشطط في صدر كبير ووركين عريضتين وفقا الذوق الشرقي. وهذا ما هو حاصل تماما في حالة عيشة قنديشة المغرب. واسطار كعيشة قنديشة تجسد الفسق وفي عباداتها كانت تقام اعياد لم يكن لاجونها وتهتكها قيذا وحده. وفي اشوريا كانت الالهة بملات وهي احدى الهات اسطارته المحلية تمثل بنفس التمثيل "ولما" نفس المعنى والمغزى.

وهذه الاسطورة لا تقتصر على منطقة حوض البحر المتوسط حيث انه في الهند تظهر اخرى مماثلة كما هو شأن الالهة نيرتي التي ترمز الى الشهور. ففي سائر ثقافات

البحر المتوسط . اثار لهذه الشخصية الوهمية كثيرة الشيوع وقد اتضح ذلك في مصر قبل عهد العائلات المالكة (باداري) ومالطة (هال سفلياني وهال ثرياني) واسبانيا (تمثيل الاليثاركي) الخ وفي شمال افريقيا في هوغرت لدينا تمثال لمرأة ضخمة الجسم عارية عثر عليه في قبر ثينسان في واد الاطلس له مغزى مماثل . وتوجد ضور اخرى لثقافات حوض الدنوب لها علاقة بها تقدم مع انها تنتمي الى مجموعة اخرى (١) فشخصية عيشة قنديشة المهمة ينبغي ان نربطها باثار سلطة الاحومة الواضحة التي تبدو عند السكان الاميين الافريقيين في وقتنا الحاضر . وفي العادات الوثيقة العرى بسلطة الامومة وارتكاب الفجشاء العادي عند فتيات اولاد نايل .

انتهى

(١) جورج بوسون " دراسة " لغوية وسلائية وما قبل التاريخ " باريس سنة ١٩٣٤ . ادوار وسترمالك " بقايا وثنية في الثقافة المجدية " ، باريس .





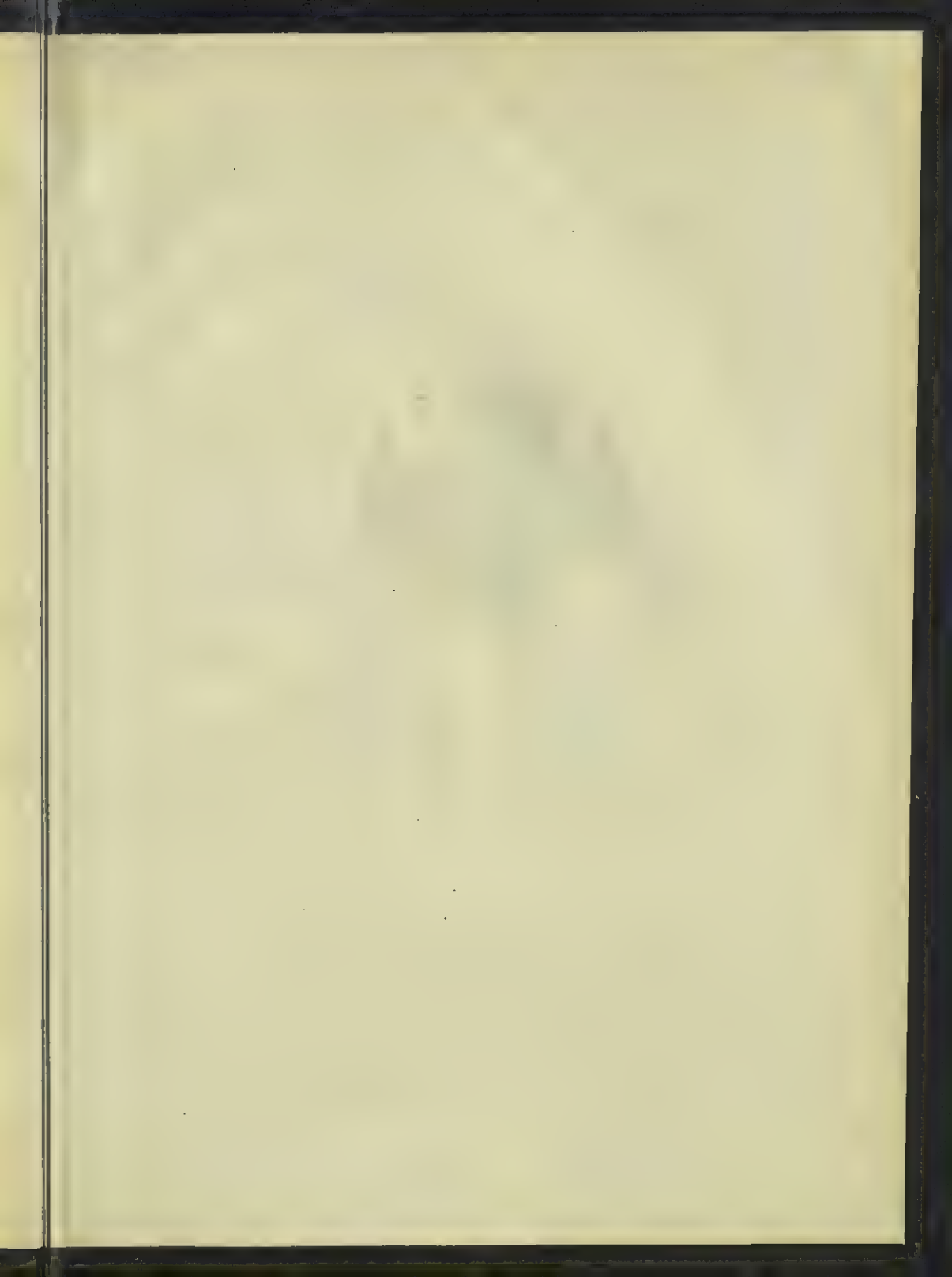
نماذج من الوشوم المصرية

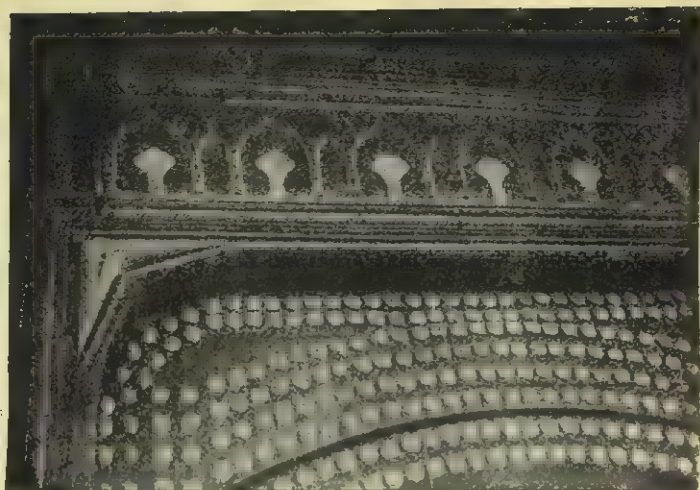
يمثل النموذج الرابع والثلاثون والسادس والثلاثون خرافة الحسنة . والنموذج الرابع والثلاثون مركب من صنف الخرافة مع عبادة الشمس . وتنتمي الى النموذج الصليبي الشكل مع مغزى مماثل للنماذج الانية 35 ' 37 ' 38 ' 39 ' 40 ' 41 . والنماذج السبعة الاخيرة هي لعباد الشمس الدائرية . والنموذج 15 اشكل الانسان هو في نفس الوقت

يدل على خرافة الخمسة. وتدل على خرافة السبعة النماذج الآتية '42' '43' '44' '45' '46' '47'
والنموذج 49 مشابه التمثيل الشمسي الذهبي عند الانكس اليبروين الذي يظهر في
الشكل رقم ١ وهو في نفس الوقت يدل على خرافة الخمسة. وأما الرابع والثامن والثالث
والثلاثون فله شكل منصرف من أصل العصر المعدلاني.



الشكل رقم 1. — تمثيل شمسي
ذهبي للانكس ظاهر الشبه بانموذج
الوشم رقم 49 من اللوحة رقم 1.





الشكل رقم 2. — زهرات كبيرة ذات خمسة فروع في عتبة
احدى الابواب في تطوان.

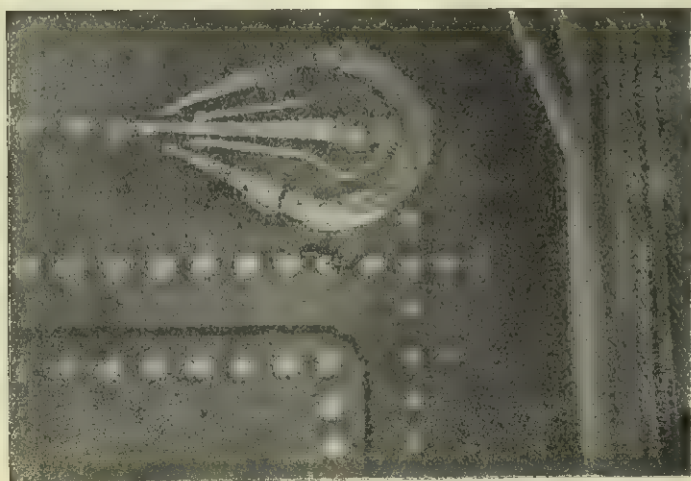


الشكل رقم 3. — زهرة كبيرة ونعلة في
الزاوية الشمالية العليا.

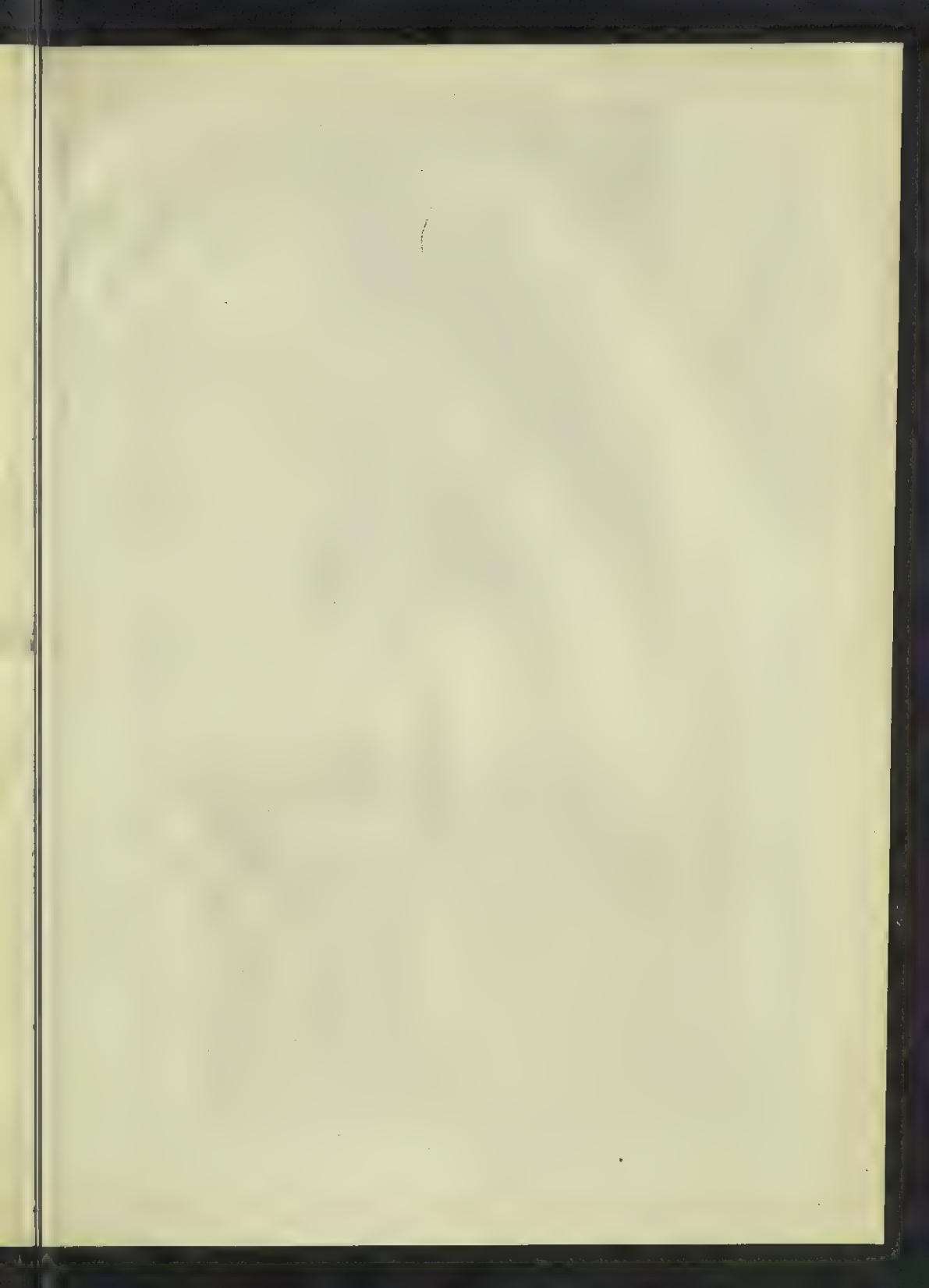




الشكل رقم 4. — باب دونغال في الزوايتين
العليا والسفلى من الشمال.

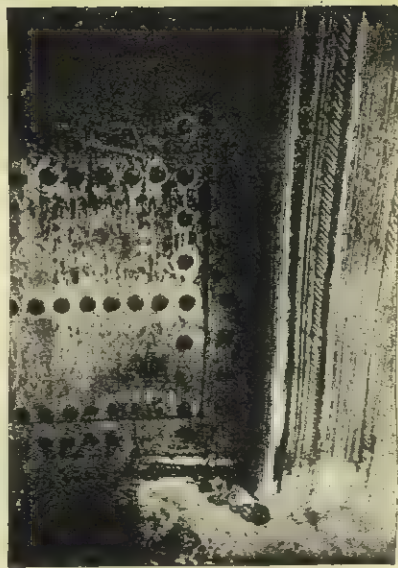


الشكل رقم 5. — نعلة في الزاوية العليا من اليمين.





الشكل رقم 7 — نعلة في الزاوية
اليمنية العليا.



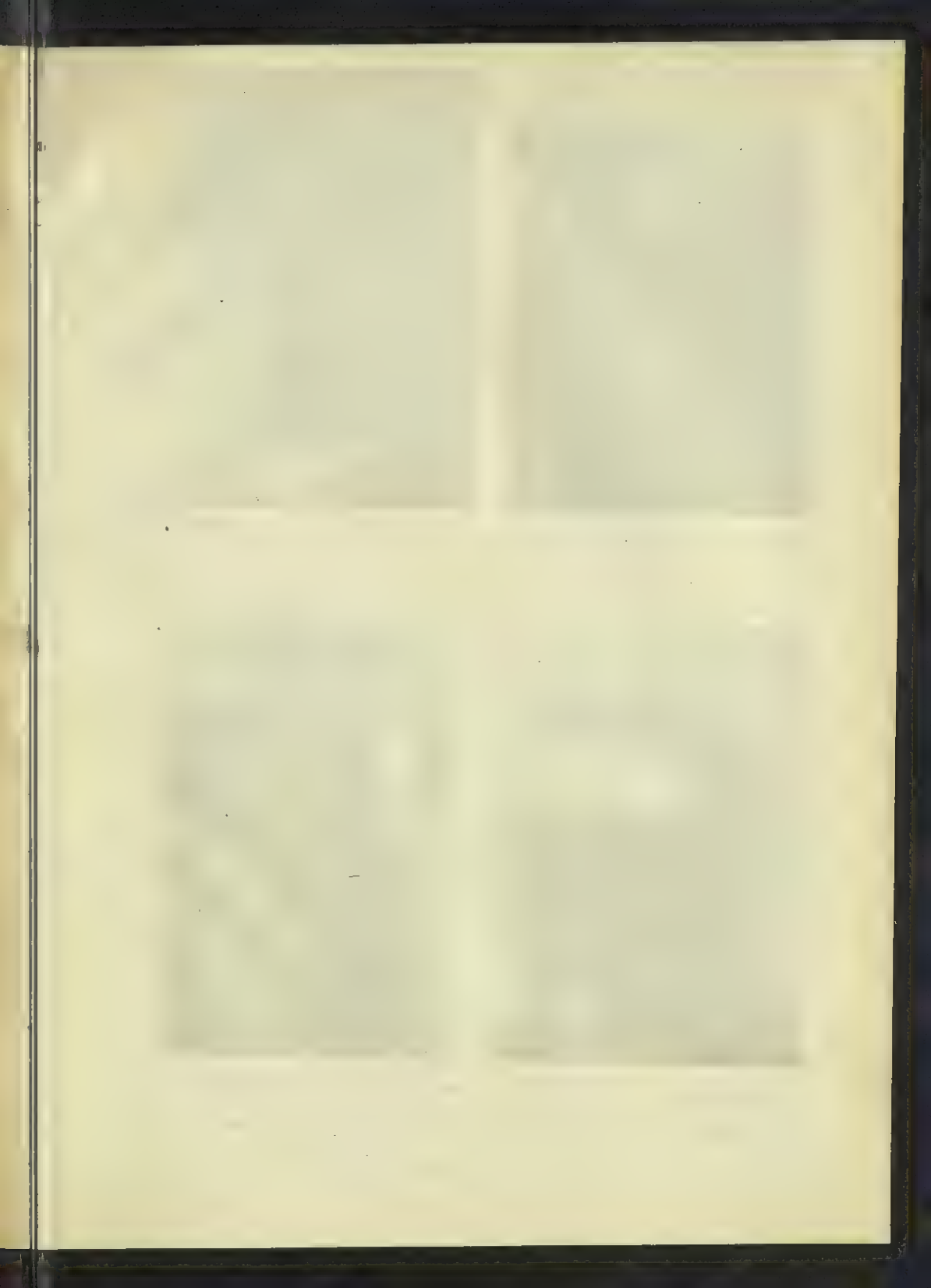
الشكل رقم 6 — نعلة في الزاوية
اليمنية السفلى.



الشكل رقم 9 — يد مطبوعة في
الحناء على باب احد المنازل التطوانية.



الشكل رقم 8 — مشط ذو خمسة
فروع مطبوع بالحناء على احد الابواب
وهو شبيه بالوشم عدد 21 من اللوحة



La versión árabe ha sido hecha
por NAYIB ABUMALHAM, del
Gabinete de Traducciones de la
Delegación de Asuntos Indígenas.

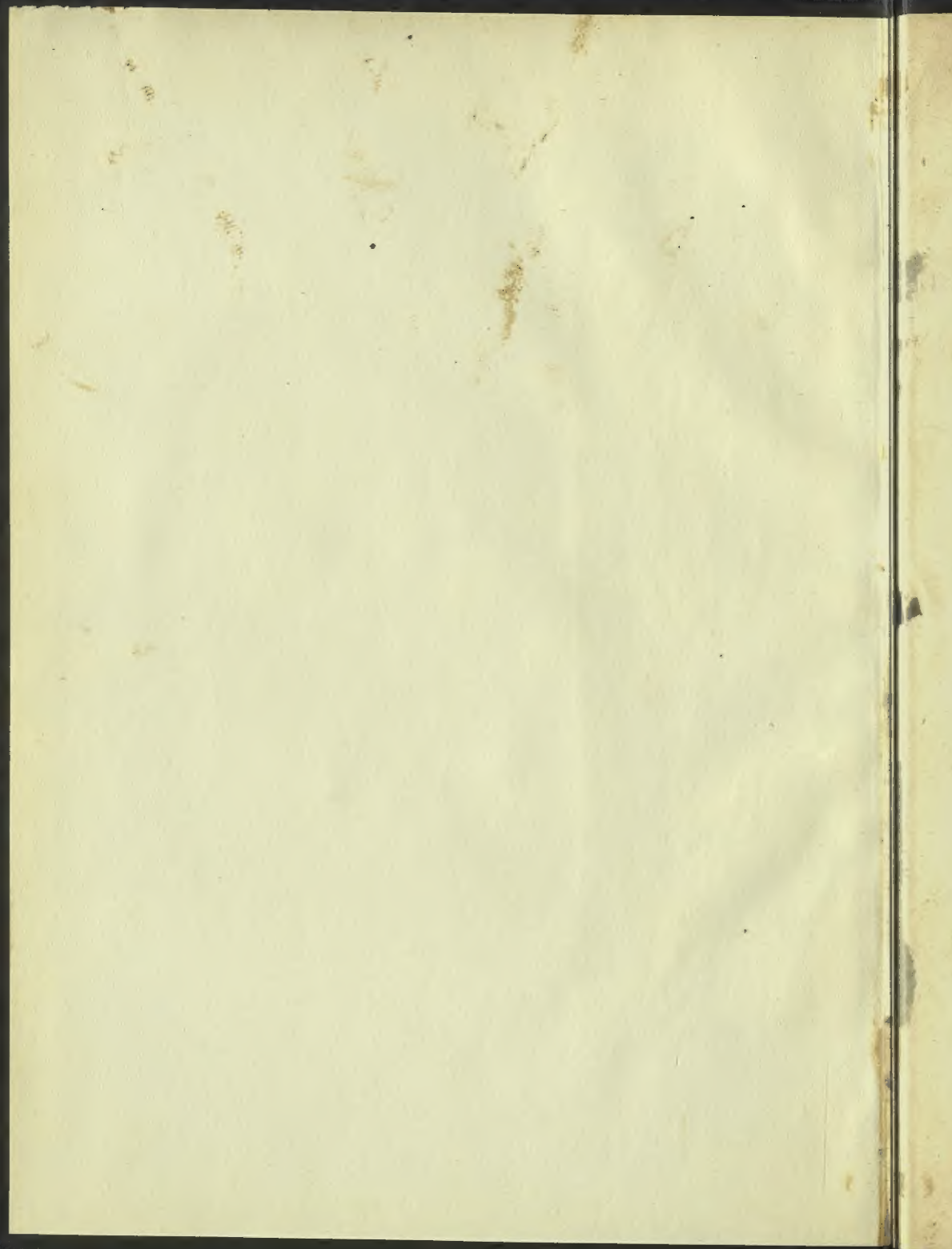
INSTITUTO MULEY EL-HASAN

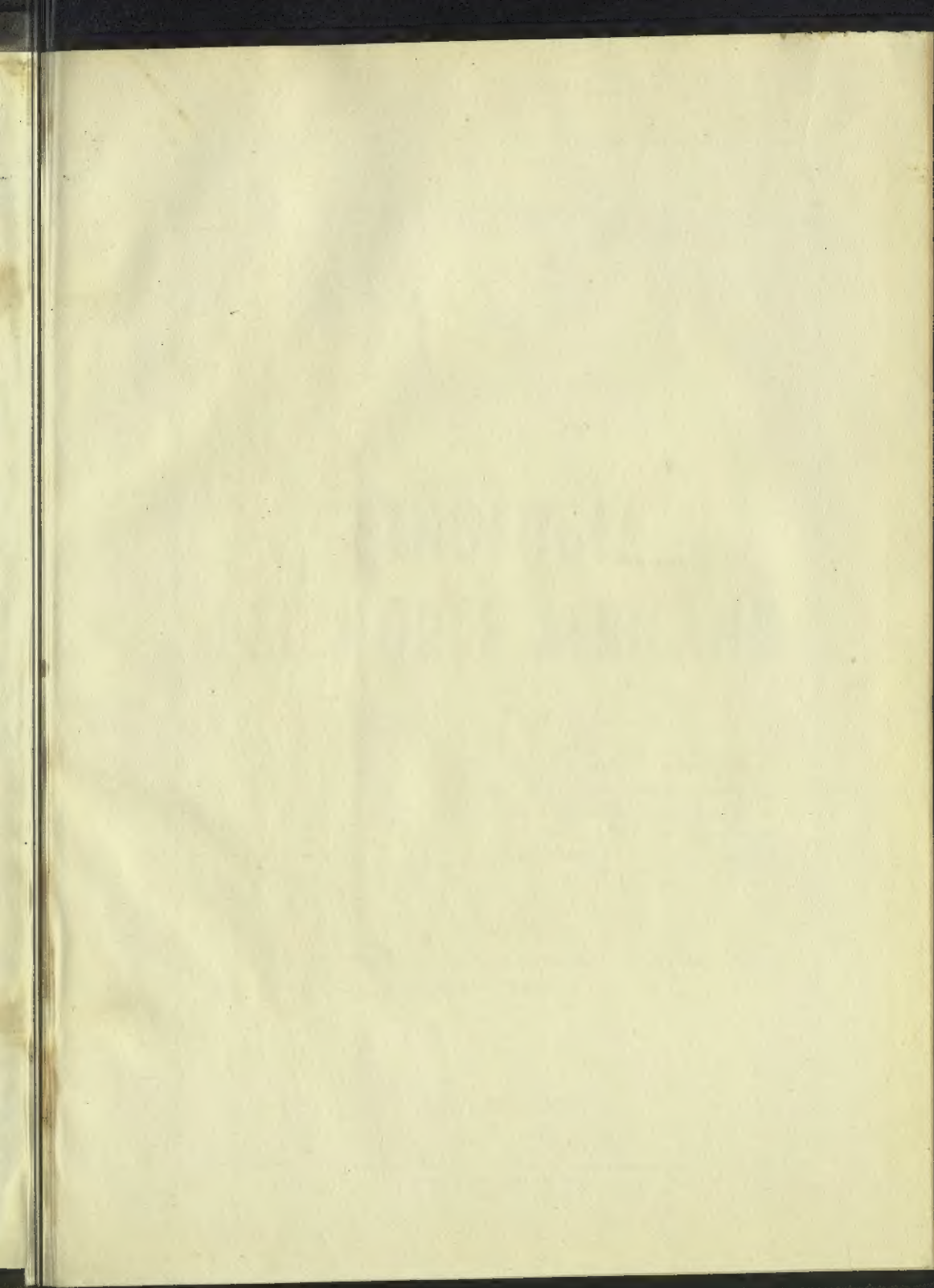
ETNOLOGIA DEL NORTE AFRICANO

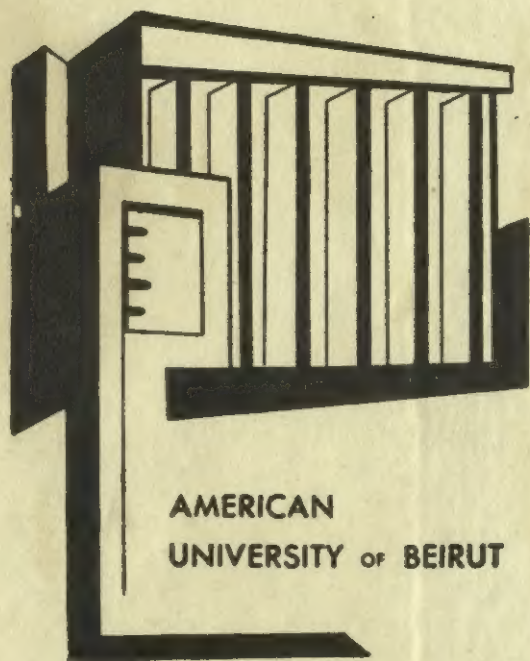
Por JULIO COLA ALBERICH,
Profesor de la Universidad de Madrid, Jefe
de Sección del Instituto «Bernardino de Sa-
hagún» de Antropología y Etnología del Con-
sejo Superior de Investigaciones Científicas.

Conferencia pronunciada el día 31 de Marzo de 1947 en el Paraninfo de la
Delegación de Educación y Cultura en Tetuán.

TETUAN, 1948







AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

572.361
C68ef